جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الإعجاز القصصي بين العرض والسرد والترتيب" قصص الكهف " نموذجا

Al'iiejaz Alqasasiu Bayn Aaleird Wlsard Waltartibi"Qisas Alkahfa" Namudhajan

إعداد

د. أشرف محمود عبدالهادي الدمهوجي

قسم البلاغة والنقد ،كلية اللغة العربية بالمنوفية،
جامعة الأزهر الشريف ، مصر

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثالث–أغسطس)
(الجزء الثالث (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

الإعجاز القصصي بين العرض والسرد والترتيب" قصص الكهف " نموذجا

أشرف محمود عبدالهادي الدمهوجي

قسم البلاغة والنقد ،كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر الشريف ، مصر

البريد الإلكتروني : *ashrafeldamhogy.lan@azhar.edu.edueg*

الملخص

هذه دراسة موجزة تكشف عن ملامح الإعجاز القصصي بين العرض والسرد والترتيب في قصص الكهف؛ مساهمة في إدراك وجه من أوجه الإعجاز القرآني، ومما لا شك فيه أن القصص القرآني من أساس هذا الإعجاز، وطريقة السرد والعرض في قصص سورة الكهف الأربع تقوم على بنية سردية منتقاة بدقة وعناية، فتسهم في تحقيق المقاصد العقدية التربوية للقصص، أما الأحداث التي تجاوزتها تلك القصص، فليست مهمة، ووجودها لا يخدم مقاصد تلك القصص، ومن ثمَّ، فإن إشكالية البحث تكمن في إبراز الإعجاز البلاغي للنص القرآني من خلال تحليل آيات من سورة الكهف تختص بالقصص القرآني في ضوء طريقة العرض والسرد وبلاغة الترتيب التي تمثل وحدة دلالية ترتبط بسياق اقتضى نزولها، وفي ذلك لون من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وسبب اختيار سورة الكهف؛ لما فيها من وضوح نظرية السرد والعرض والترتيب لقصص السورة بهذا الإعجاز، واتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي، وتناولت الدراسة أمرين الأول: الحديث عن بلاغة السرد والعرض في القصص الأربع، والثاني: الحديث عن وحدة المقصد، وبلاغة الترتيب، وملامح الإعجاز في القصص الأربع، ومن أهم النتائج: أن قصص الكهف الأربع خلت من وجود شخصية المرأة ؛ لذا انفرد القصص القرآني بسمة خاصة في السرد القصصي، حيث الاقتصار على الشخصيات التي تستدعيها طبيعة الموضوع، والمواقف المختلفة، وتركت الجوانب الأخرى التي ليس لها وظائف حيوية في رسم الشخصيات، وتطوير الأحداث. أن سورة الكهف مليئة بالكهوف، ولكنها كهوف معنوية.

كلمات افتتاحية: الإعجاز القصصي ، السرد ، العرض، الترتيب ، الشخصيات ، الأحداث ، الزمان، المكان

Al'iiejaz Alqasasiu Bayn Aaleird Wlsard Waltartibi"Qisas Alkahfa" Namudhajan

Ashraf Mahmoud Abdel-Hadi Al-Damhoji
Department of Rhetoric and Criticism , Faculty of Arabic Language in Menoufia , Al-Azhar University , Egypt

Email*: ashrafeldamhogy.lan@azhar.edu.edueg*

Abstract*:*

This is a brief study that reveals the features of the narrative miracle between presentation, narration, and arrangement in the stories of the Cave; contributing to understanding one aspect of the Qur'anic miracle. There is no doubt that the Qur'anic stories are the basis of this miracle, and the method of narration and presentation in the four stories of Surat Al-Kahf is based on a narrative structure that is carefully and precisely selected.

It contributes to achieving the educational doctrinal objectives of the stories. As for the events that these stories have surpassed, they are not important, and their existence does not serve the objectives of these stories. Therefore, the problem of the research lies in highlighting the rhetorical miracle of the Qur'anic text through analyzing verses from Surat Al-Kahf that are specific to Qur'anic stories in light of the method of presentation and narration and the eloquence of arrangement that represents a semantic unit linked to a context that required its revelation.

This is a type of rhetorical miracle in the Holy Quran, and the reason for choosing Surat Al-Kahf is because it contains a clear theory of narration, presentation, and arrangement of the stories of the Surah with this miracle. The research followed the descriptive analytical inductive method, and the study dealt with two matters: the first: talking about the eloquence of narration and presentation in the four stories, and the second: talking about the unity of purpose, the eloquence of arrangement, and the features of the miracle in the four stories.

One of the most important findings is that the four stories of the cave were devoid of any female characters. Therefore, the Quranic stories are unique in their narrative style, as they are limited to characters necessitated by the nature of the subject and the various situations, while other aspects that are not vital to characterization and development of events are omitted. Surat al-Kahf is replete with caves, but they are spiritual caves.

Keywords*: Narrative Miracle , Narration , Presentation , Arrangement , Characters , Events , Time , Place.*

المقدمة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف: ١]، وبهر ببيان تراكيبه وبلاغة تعابيره العلماء، أنزله بحجج بيّنات، وفصّله سوراً وآيات، ونظمه بإحكام عجيب فاق جميع المعجزات، والصلاة والسلام على من أنزل على قلبه القرآن سيدنا محمد -ﷺ-، فقرأه، وتدبره، وآمن بمحكمه ومتشابهه، ورضي الله عن صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن جملة وجوه الإعجاز القرآني التي خاض العلماء في بيانها ما اشتملت عليه آياته من حديث صادق عن الأمم البائدة، والقرون السالفة، وقد تناول هذا الجانب . القصة القرآنية . فئات كثيرة من العلماء منهم المفسرون، وعلماء التاريخ، كل فريق حسب منهجه وما يقصده من دراستها؛ فالبلاغيون رأوا في القصة القرآنية جمال ألفاظها، وعجيب أسلوبها، وحسن بيانها، وقوة معانيها، على الرغم من تشعب مقاصدها: من تهذيب للطباع، ودعوة للخير، ونشر للحكمة فضلا عن دقة النظم القرآني، وإعجازه البياني.

ولم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحداً من حيث الطول والقصر، والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصلة؛ كما في قصة موسى ﷺ في سورة الأعراف، وقصة نوح ﷺ في سورة هود، وهناك القصة المجملة؛ كما في قصة نوح ﷺ في سورة الأعراف، وقصة موسى ﷺ في سورة هود، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى، وكل قصة قرآنية مجملة أو، مفصلة قصيرة أم غير قصيرة، جاءت تفي بالغرض الذي سيقت من أجله، فليس قِصَر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص، بل ربما يذكر في القصة القصيرة ما لا يذكر في غيرها، ولعل خير مثال على ذلك ما ذكرته قصة نوحﷺ في سورة العنكبوت.

وهناك نوع آخر من القصة القرآنية التي لم تذكر إلا مرة واحدة، وإذا نظرنا لهذا النوع من القصص في هذه السور وجدناه ذا ترتيب بديع، عجيب الشأن؛ إذ

يكوِّن منهجاً متكاملاً لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون أفراداً وجماعات، ولنأخذ سورة الكهف مثلاً، فـ «القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية، ومعظم ما يبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص تجد بعض مشاهد يوم القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، ومن ثَمَّ كان هذا البحث الموسوم بـ (الإعجاز القصصي بين العرض والسرد والترتيب قصص سورة الكهف نموذجا)، وقدمت العرض؛ حيث الاهتمام بتقديم المعلومات من خلال كل قصة، فالعرض أولا، وثنيت بالسرد؛ لأنه يهتم بتتابع الأحداث، والقصص، ثم ثلثت بالترتيب؛ لأنه يهتم بتنظيم العناصر بشكل منطقي أو زمني_ ترتيب قصص السورة_، والكشف عن سر هذا الترتيب، وسبب اختياري لسورة الكهف دون غيرها من السور؛ لما فيها من وضوح نظرية السرد القصصي، ثمَّ هذا الترتيب العجيب لتلك القصص التي لم تذكر إلا في هذه السورة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: يسعى البحث إلى الكشف عن الإعجاز البلاغي، ودقة النظم في النص القرآني من خلال تحليل آيات من سورة الكهف تختص بالقصص القرآني في ضوء طريقة العرض، والسرد، والترتيب التي تمثل وحدة دلالية ترتبط بسياق اقتضى نزولها؛ فضلا عن شرف البحث في القرآن الكريم ودراسته.

ومن أهداف البحث: . إثبات ما تفرد به القصص من ظواهر، وأساليب، وإلقاء الضوء على الرابط الذي يربط تلك القصص ببعضها.

. بيان العلل، والنكات، والأسرار، والدقائق البلاغية التي من أجلها رتبت فيها القصص على هذا النحو، ولم بدأت بقصة أصحاب الكهف؟ ولم بنيت على الإجمال، ثم التفصيل ...إلخ؟

منهج البحث وطريقته: حرص البحث أن يسلك المنهج الوصفي التحليلي في ضوء معطيات البنية السردية مستحضرا الغرض من سياقها، ثم تتبع أدوات البلاغة وأساليبها في القصص الأربع، ومن ثمَّ استخلاص الأهداف المرجوة منه إن شاء الله.

الدراسات السابقة: وجدت دراسات كثيرة حول سورة الكهف، لكن _ في حد علمي_ لا توجد دراسة تكشف عن ملامح العرض والسرد، والترتيب القصصي في السورة الكريمة، ومن تلك الدراسات: "البلاغة السردية في القرآن الكريم"، د/ فاضل السامرائي، "بلاغة القصص القرآني"، د/ محمد أبو موسى، "بلاغة الترتيب في القرآن"، د/ أحمد حسن فرحات

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، تتبعهما خاتمة، ثم فهارس علمية، أما **المقدمة**، ففيها الحديث عن الموضوع وأهميته، وسبب اختياره، وأهدافه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وأما **التمهيد**، فهو تفسير لمفردات العنوان (سورة الكهف وإعجازها القصصي، وعلاقته بالسرد الحديث)، وفيه أمران:

الأول: إضاءات حول سورة الكهف.

الثاني: مفهوم العرض والسرد والترتيب، وعلاقة السرد بالإعجاز القصصي القرآني.

المبحث الأول: (بلاغة العرض والسرد في القصص الأربع)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بلاغة العرض والسرد في قصة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: بلاغة العرض والسرد في قصة صاحب الجنتين.

المطلب الثالث: بلاغة العرض والسرد في قصة "نبي الله موسىعليه السلام مع العبد الصالح".

المطلب الرابع: بلاغة العرض والسرد في قصة "ذي القرنين".

المبحث الثاني:(وحدة المقصد وبلاغة الترتيب والإعجاز في القصص الأربع)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية وعلاقة القصص الأربع ببعضها.

المطلب الثاني: أسرار ترتيب القصص الأربع على هذا البناء الإلهي.

المطلب الثالث: أبرز ملامح الإعجاز في القصص الأربع.

ثم الخاتمة وبها أهم نتائج البحث، ثم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد: فإني آمل أن ينال هذا البحث القبول والاستحسان، وما الكمال إلا لله وحده، وحسبي أنني أخلصت الجهد، وبذلت المستطاع، والله أسأل أن يمنحني الصواب والرشاد، ويلهمني الحكمة وفصل الخطاب، والله الموفق إلى سواء السبيل.

التمهيد

(سورة الكهف، وإعجازها القصصي، وعلاقته بالسرد الحديث)

المحور الأول: إضاءات حول سورة الكهف

التسمية: سميت سورة الكهف بهذا الاسم؛ للقصة العجيبة التي تصدرتها، وكانت قصة الكهف دون غيرها من القصص الأربع _ ما ذهب إليه جمهور المفسرين_ ؛ لكون قصة أهل الكهف لم تذكر في غير هذه السورة خلاف بقية القصص فيها إشارات وردت في غيرها، وأيضا لم تذكر هذه المادة(كهف) في غير هذا الموضع في الذكر الحكيم، وهناك لطيفة بلاغية وراء هذه التسمية؛ حيث إن قصة أهل الكهف تحمل في طياتها بقية قصص السورة، فتشير إلى كهوف معنوية تحجب وراءها حقائق قعد بنا عن إدراكها قصور إدراكنا، ووقوفنا عند ظواهر الأشياء تماما مثلما وقف موسى عليه السلام عند ظاهر تصرفات العبد الصالح التي بدت له غاية في الشناعة قبل أن يكشف له عن حقائقها[1]، فهناك كهوف مجازية غير الكهف الحقيقي.

آياتها: عدت آياتها في عدِّ قراء المدينة ومكة مائة وخمسا، وفي عدِّ قراء الشام مائة وستا، وفي عدِّ قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدِّ قراء الكوفة مائة وعشرا، بناء على اختلافهم في تقسيم بعض الآيات إلى آيتين[2]؛ وعدد كلماتها: ألف وخمسمائة وتسع وسبعون كلمة، وعدد حروفها: سبعة آلاف، وثلاثمائة وستة أحرف، ولوضعها عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ فِي الْمُصْحَفِ مُنَاسَبَةٌ حَسَنَة: ألهم الله، إليها أصحاب

---

(١)- ينظر: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي١/١٩٠، شركة الشهاب، الجزائر ١٩٩٠م.

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ٢٤٢/١٥: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤م.

رسول الله ﷺ لما رتبوا المصحف، فإنها تقارب نصف المصحف؛ إذ كان في أوائلها موضع قيل: هو نصف حروف القرآن، وهو(التَّاءُ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الْكَهْف: ١٩]، وقيل: نصف حروف القرآن هو (النُّونُ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الْكَهْف: ٧٤] في أثنائها، وهو نهاية خمسة عشر جزءا من أجزاء القرآن، وذلك نصف أجزائه، وهو قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿* قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الْكَهْف:٧٥]، فجعلت هذه السورة في مكان قرابة نصف المصحف، وهي مفتتحة بالحمد حتى يكون افتتاح النصف الثاني من القرآن بِـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الْكَهْف: ١]، كما كان افتتاح النصف الأول بِـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الْفَاتِحَة: ٢]، وكما كان أول الربع الرابع منه تقريبا بِـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] »[(١)]؛ مما يدل دلالة واضحة على دقة النظم والترتيب والإعجاز.

مقصودها: "وصف الكتاب بأنه قيم؛ لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في (سبحان) من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو، وقاصًّا (بالحق) أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم، وفق ما وقع الخبر به في (سبحان) من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء، وأدل ما فيها على هذا المقصد: قصة أهل الكهف؛ لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص، مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للوحدانية، وإبطال الشرك"[(٢)] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٢٤٥.

(٢)- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٢/٢٤٤: مكتبة المعارف – الرياض، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م.

سبب النزول: أوفدت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار المدينة(اليهود) يستمدون منهم ما يعجز الرسول -ﷺ-، فطلبوا منهم أن يسألوا الرسول -ﷺ- عن ثلاث قضايا، فإن أجابهم بما وافق ما عندهم ثبتت نبوءته، وإلا بان عجزه، وتحقق بطلان دعوته، وهذه القضايا هي: حقيقة الروح، وخبر الفتية الذين فروا بعقيدتهم في الزمن الغابر، ونبأ الرجل الطواف الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وفيهما نزلت سورة الكهف(١)، فرجع النضر وعقبة، فأخبرا قريشا بما قاله أحبار اليهود، فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله -ﷺ-، فسألوه عن هذه الثلاثة، فقال لهم رسول الله -ﷺ-: أخبركم بما سألتم عنه غدا، وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها، ولم يقل: إن شاء الله، فمكث رسول الله ثلاثة أيام لا يوحى إليه، وقال ابن إسحاق: خمسة عشر يوما، فأرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا، وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى أحزن ذلك رسول الله -ﷺ-، وشق عليه، ثم جاءه جبريل- عليه السلام- بسورة الكهف، وفيها جوابهم عن الفتية، وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين، وأنزل عليه فيما سألوه من أمر الروح ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥] (٢).

فضلها: ورد في فضل السورة أحاديث كثيرة، فقد روى مسلم، وأبو داؤد، والنَّسائي، والترمذي، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي، وأحمد بن منيع، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله -ﷺ-قال: من

---

(١)- ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٧٢/٣: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤٢٠ هـ.

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير ٢٤٣/١٥.

قرأ –وفي رواية: "من حفظ –عشر آيات من أول"[١] –وفي رواية: "من آخر[٢] سورة الكهف عصم من الدجال"، وفي رواية: "من فتنة الدجال"[٣]، وفي رواية للترمذي: "من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف"[٤]، ورواه النسائي في "اليوم والليلة" عن ثوبان رضي الله عنه، ولفظه: "من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من الدجال"[٥]، ولمسلم وأبي داود، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، "أن النبي –ﷺ –ذكر الدجال –إلى أن قال: "فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" [٦].

(١)– صحيح مسلم(٨٠٩)

(٢)– صحيح ابن حبان(٧٨٦)

(٣)– السابق(٧٨٥)،

(٤)– صحيح الترمذي(٢٨٨٦).

(٥)– النسائي في (السنن الكبرى) (١٠٧٨٦).

(٦)– صحيح مسلم(٢٩٣٧)، ينظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ ٢/٢٤٥.

المحور الثاني: مفهوم (العرض، والسرد، والترتيب)، وعلاقة السرد بالإعجاز القصصي القرآني

المفهوم اللغوي لكلمة(العرض): ورد في مختار الصحاح: عرض الشيء فأعرض، أَيْ: أَظْهَرَهُ، فَظَهَرَ... قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٠]،أَيْ: أَبْرَزْنَاهَا حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا (فَأَعْرَضَتْ) هِيَ أَيِ: اسْتَبَانَتْ، وَظَهَرَتْ[١]، والمعنى الاصطلاحي للعرض يتناسب مع المعنى اللغوي، فيعنى بتقديم المعلومات، أو الأفكار بأسلوب معين؛ لإيضاحها في صورة جيدة.

وأما السرد في اللغة: (سرد) السين، والراء، والدال أصل مطرد منقاس، وهو يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض[٢] .

مفهوم السرد في الاصطلاح: تعددت تعريفات السرد الاصطلاحية، وأقرب تعريف ما قدمه "صلاح فضل" في كتابه "نظرية السرد" الذي يعتبر السرد نشاطا لغويا وفكريا يهدف إلى تشكيل المعنى من خلال ترتيب الأحداث، وتقديمها بطرق تعكس التفاعل بين الزمن، والشخصيات، والمكان[٣]، فالسرد القصصي: أسلوب أدبي يتمثل في تقديم الأحداث والشخصيات[٤] بطريقة متسلسلة، ومنظمة داخل إطار زمني ومكاني

---

(١)- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ٢٠٥، المحقق: يوسف الشيخ محمد،: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٢)- مقاييس اللغة (سرد).

(٣)- نظرية السرد/ صلاح فضل/ ٢٦٠، وينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل/٣٧٥ المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط١. ١٩٩٦م.

(٤)- عناصر السرد: الأحداث: هي الأفعال والتغيرات التي تشكل جوهر القصة، ويتم ترتيبها بشكل متسلسل أو متقطع وفقًا لرؤية السارد، الشخصيات: الكائنات التي تتحرك ضمن القصة، وقد ←←←

محددين، بهدف إيصال فكرة، أو قيمة، أو تصوير تجربة إنسانية، ويُعتبر السرد القصصي من أقدم أشكال التعبير الفني؛ حيث كان الوسيلة الأساسية؛ لنقل المعرفة والثقافة عبر التاريخ شفويًا أو مكتوبًا[١] .

وأما المعنى اللغوي لكلمة(الترتيب): "(رَتَّبَ) أي: نظم، وجعل الأشياء في وضع معين وفق نظام معين"[٢]، والمعنى الاصطلاحي للترتيب يتناسب مع المعنى اللغوي، فيعنى بوضع العناصر، أو الأفكار في تسلسل منطقي، أو زمني، أو بحسب الأولوية.

علاقة السرد بالإعجاز القصصي القرآني: قضية الإعجاز في القصص القرآني قضية كبرى لها خصوصيتها، فالإعجاز القصصي والسردي مفهوم يرتبط بتفوق النصوص في قدرتها على سرد القصص، وتوصيل الرسائل بأسلوب متميز يتسم بالجمال والعمق

→→→

تكون بشرية أو غير بشرية، تُقدَّم بأدوار مختلفة مثل الشخصية الرئيسة أو الثانوية أو المضادة، الحبكة: الهيكل الذي تُبنى عليه الأحداث، ويتضمن الصراع والتطور والذروة والحل، الزمان والمكان: السياق الذي تقع فيه الأحداث، وقد يكون الزمان والمكان محددين وواضحين، أو يتركان للخيال، الراوي أو السارد: الشخص أو الصوت الذي ينقل القصة، وقد يكون الراوي مشاركًا في الأحداث أو مراقبًا خارجيًا، اللغة والأسلوب: الوسيلة التي تُروى بها القصة، وتشمل اختيار الكلمات، والتراكيب، والأسلوب السردي. (ينظر: في فن القصة، محمد يوسف نجم/٦٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م).

(١)- أنواع السرد: السرد المباشر: يكون فيه السارد واضحًا ومباشرًا، ويقدّم القصة بأسلوب موجز وواضح، السرد غير المباشر: يعتمد على عرض الأحداث من خلال وجهة نظر الشخصيات دون تدخل واضح من الراوي، السرد المتداخل: يمزج بين عدة خطوط زمنية أو وجهات نظرا لشخصيات مختلفة، السرد الرمزي: يستخدم الرموز والاستعارات لإيصال المعاني بشكل غير مباشر.(ينظر: عناصر السرد في النتاج القصصي لجابر خليفة جابر(رسالة ماجستير) للباحث : طيبة طالب بدر الخفاجي، المشرف / أ. د/ محمد عبد الرسول، كلية التربية للعلوم الإنسانية، سنة نشر البحث:٢٠٢٢م).

(٢)- ينظر: لسان العرب.

مع تحقيق تأثير كبير في النفس والفكر، وفي السياق الإسلامي يتجلى هذا المفهوم بشكل خاص في القرآن الكريم؛ حيث يعتبر الإعجاز السردي من أبرز وجوه الإعجاز التي تظهر في طريقة عرض القصص والأحداث، وقصص الكهف الأربعة نموذجا عمليا تجريبيا دقيقا لهذا، ومن ثمَّ تبدو ملامح الإعجاز القصصي والسردي في القرآن الكريم في عدة نقاط أبرزها:

١. الإيجاز مع الإحاطة بالمضمون: يعرض القرآن الكريم القصص بأسلوب موجز، لكنه شامل يركز على المعاني العميقة والعبر دون الدخول في تفاصيل زائدة.

٢. التنوع في الأساليب: تنوع الأساليب السردية في القرآن، مثل الحوار، والتكرار، والرمزية؛ مما يجعل النصوص أكثر جذبًا وتأثيرًا.

٣. الموضوعية والحياد: يقدم القرآن القصص بموضوعية تامة دون تحيز لطرف معين، ويبرز الحقائق دون انحراف أو تشويه.

٤. التركيز على العبرة والمغزى: الهدف الأساسي من القصص في القرآن ليس مجرد السرد، بل إيصال الحكمة والعبرة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١] .

٥. التناسق في الأحداث: رغم أن القصص قد تُروى في مواضع مختلفة، إلا أن هناك تناسقًا في السياق والأحداث؛ مما يعكس إحكام النص.

٦. جمال اللغة والأسلوب: لغة القرآن وسرده تحمل بلاغة فائقة، حيث تجمع بين سهولة الفهم، وعمق التأثير، وهو ما يميزه عن أي نص بشري.

بين السرد البشري والإعجاز السردي في القرآن:

السرد البشري يعتمد غالبًا على الخيال، وقد يحتوي على تناقضات أو تفاصيل زائدة لا تخدم الهدف الأساسي، أما الإعجاز السردي في الذكر الحكيم، فيتسم بالكمال والدقة، حيث لا يمكن للبشر محاكاته سواء في طريقة تقديم القصة، أو عمق معانيها وأثرها

الروحي، ومن ثمَّ، فإن الإعجاز القصصي والسردي في القرآن الكريم نص يتحدى القدرات البشرية في البلاغة والفكر والعرض، وتكمن العلاقة بين الإعجاز والسرد في قدرة النصوص على تحقيق تأثير استثنائي يتجاوز قدرة الإنسان العادية في تقديم الأحداث والقصص مع الجمع بين جمال الأسلوب وعمق المضمون، ففي السياق القرآني يظهر هذا بشكل واضح في الإعجاز السردي الذي يعني أن النص القرآني يستخدم السرد بطرق تتحدى الإمكانات البشرية.

أوجه العلاقة بين الإعجاز السردي والسرد البشري(١)

١. التوظيف الجمالي للسرد: السرد في القرآن ليس مجرد نقل للأحداث، بل هو إبداع فني متكامل يعتمد على أساليب لغوية، وبلاغية تعجز البشرية عن الإتيان بمثلها، ويحقق السرد القرآني التوازن بين الجمال البلاغي وإيصال المعاني العميقة.

٢. الإيجاز والتكثيف مع الإحاطة: تجد إطالة أو نقصانًا يخل بالفكرة في السرد البشري، بينما نجد الإيجاز في السرد القرآني، لكنه لا يخل بالمعنى، وإن كان في بعض القصص إطناب، لكنه لا يمل منه المتلقي، وعلى سبيل المثال: "قصة يوسف (عليه السلام)" في سورة يوسف تتضمن تفاصيل دقيقة دون إطالة مملة مع التركيز على العبر المستفادة، وكذلك قصص الكهف الأربع.

٣. البنية المتماسكة للسرد: السرد القرآني يتميز ببنية متماسكة ومنطقية، حتى لو توزعت القصة على أكثر من موضع في القرآن، فالأحداث تُعرض بترتيب يخدم الهدف النهائي للقصة؛ مما يعكس إحكام النص.

٤. السرد كوسيلة للتأثير والإقناع: السرد في القرآن وسيلة للإقناع والتأثير الروحي والعقلي؛ حيث يخاطب العقل والقلب معًا، فاستخدام الحوارات، والانتقالات الزمنية،

---

(١)- بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، محمد مشرف خضر(رسالة دكتوراه)، جامعة طنطا، كلية الآداب.

والوصف الدقيق للأحداث يجعل النصوص مؤثرة بشكل يفوق قدرة البشر؛ لذا كان القصص القرآني معجزا.

٥. العبرة والرسالة: الإعجاز السردي يتجلى في قدرة النص على إيصال رسائل عظيمة، ومغزى عميق من خلال قصص مختصرة، كما يظهر في قصص الأنبياء، وقصص الأقوام السابقة.

٦. التحدي وإثبات الإعجاز: السرد في القرآن يُعد جزءًا من التحدي الإعجازي؛ حيث يثبت تفوق النص على أي سرد بشري لا يستطيع البشر أن يأتوا بقصة تجمع هذا الكم من الحكمة والبلاغة والعمق التأثيري[١] .

ومن ثمَّ يمكن القول: إن السرد في القرآن الكريم أداة لتحقيق لون من الإعجاز؛ حيث يجمع بين التفوق البلاغي، والدقة السردية، والتأثير النفسي، والإقناع الفكري؛ مما يجعله معجزًا في شكله ومضمونه.

(١)- بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم/١١ محمد مشرف خضر.

المبحـــــث الأول

(بلاغة العرض والسرد في القصص الأربع)

المطلب الأول: بلاغة العرض والسرد في قصة أصحاب الكهف

جاء عرض القصة في مشاهد متعددة، فبدأت بذكر تمهيد مجمل للقصة، يخاطب الله تعالى فيها النبي -ﷺ- في قوله تعالى ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾[الكهف:٢] إلى قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف:٩]، بدأت القصة بصيغة المبالغة(قيما) من القيام المجازي الذي يطلق على دوام تعهد شيء، وملازمة صلاحه؛ لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله، والمراد به هنا أنه قيم على هدي الأمة وإصلاحها، فالمراد أن كماله متعد بالنفع[(١)]، وهذا التمهيد يشوق إلى القصة، وينبه إلى ما تنطوي عليه من مقاصد القصة القرآنية، ويعالج ما قد يثار حول أحداثها من تشكيك، أو ما قد يثار حول أفكارها من آراء..."[(٢)]، وبعد ذلك التشويق المزيل للشبه جاء سرد القصة معتمدا أسلوب عرض مشاهد منتقاة تحقق المقاصد التي من أجلها سيقت تلك القصة التي قامت على أربعة مشاهد بينها فجوات مسكوت عنها تعرف من السياق العام للقصة؛ إذ اكتفت القصة القرآنية بتقديم المشاهد التي تثري القصة: موضوعيا، وفنيا، وبلاغيا، ففي المشهد الأول: قدم الفتية وهم يتحاورون بحثا عن مخرج من المشركين الذين أرادوا دفعهم إلى الشرك بالله تعالى ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾

---

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٢٤٨.

(٢)- البيان القصصي في القرآن الكريم، د/ إبراهيم عوضين/١٢٦، دار الأصالة، الرياض، ط٢، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

[الكهف:١٣]، إلى قوله ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف:١٦]،وهذا شروع في مجمل القصة والاهتمام بمواضع العبرة منها، وقدم منها ما فيه وصف ثباتهم على الإيمان، ومنابذتهم قومهم الكفرة، ودخولهم الكهف، ومن بلاغة العرض تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ الذي يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق، (والحق) هنا الصدق، والصدق من أنواع الحق، وعبر بالنبأ، وهو الخبر؛ لما فيه من أهمية وشأن هؤلاء الفتية؛ لذا قال سبحانه﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه، فلما شاع إطلاق القلب على الاعتقاد استعير الربط عليه؛ للتثبيت على عقده [1] ؛ لذا كانت عناصر السرد القصصي في السورة الكريمة متكاملة الأركان، فضلا عن هذا الانفراد القصصي القرآني المعجز في عرضه وترتيبه.

وجاء المشهد الثاني؛ لينقلنا مباشرة إلى الحديث عن حالهم في الكهف بعد فرارهم بدينهم من هؤلاء القوم، فقدمت القصة مشهدا حسيا معجزا، يتمثل في صورة ذلك الكهف العجيب الذي هيأه الله تعالى لهم ﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ [الكهف١٧_١٨]، وهذا من باب رد عجز الكلام على صدره، فقد أوجز من الخبر أنهم لما قال بعضهم لبعض ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ٢٧١/١٥.

[الكهف:١٦] أنهم أووا إليه، والتقدير: فأخذوا بنصيحته فأووا إلى الكهف، ودل عليه قوله في صدر القصة ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف:١٠]، وتكمن بلاغة السرد في هذا المشهد في الإتيان بفعل المضارعة؛ الذي يدل على تكرر ذلك كل يوم؛ وللدلالة على التجدد بحسب الزمن المحكي، ولا يلزم أن يكونوا كذلك حين نزول الآية، والتعريف في اليمين والشمال عوض عن المضاف إليه، أي يمين الكهف وشماله، فيدل على أن فم الكهف كان مفتوحا إلى الشمال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف، ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها، وهذا وضع عجيب يسره الله لهم بحكمته؛ ليكون داخل الكهف بحالة اعتدال، فلا ينتاب البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله[١] ؛ مما يظهر الإعجاز في السرد القصصي، ومعلوم أن الأحداث في القصة تتحرك بطريقين: طريق السرد، وهو وصف الأحداث، والأشخاص، والمشاعر والانفعالات، والأماكن، والأزمنة، وغيرها، وطريق الحوار الذي ينطق به أشخاص القصة[٢] ؛ لذا عبَّر النظم القرآني في ختام هذا المشهد بقوله: ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ ليبرز دقة النظم في اختيار اللفظ الملائم للمعنى، ووصفه للأحداث، فالملء: كون المظروف حالا في جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى في الظرف سعة لزيادة شيء من المظروف، فمثلت الصفة النفسية بالمظروف، ومثل عقل الإنسان بالظرف، ومثل تمكن الصفة من النفس بحيث لا يخالطها تفكير في غيرها بملء الظرف بالمظروف، فكان في قوله: ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾ استعارة تمثيلية، وانتصب (رعبا) على تمييز النسبة المحول عن الفاعل في المعنى؛ لأن الرعب هو الذي يملأ، فلما بني الفعل إلى المجهول؛ لقصد الإجمال

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ٢٧٩/١٥.

(٢)- ينظر بدائع الإضمار القصصي /٧٣.

ثم التفصيل صار ما حقه أن يكون فاعلا تمييزا، وهو إسناد بديع حصل منه التفصيل بعد الإجمال، وليس تمييزا محولا عن المفعول(١)، فتضافر العرض والسرد في إبراز القصة بطريقة بلاغية معجزة من دقة اختيار اللفظ المناسب للمعنى.

وجاء المشهد الثالث؛ ليصور حالهم بعد أن بعثهم الله تعالى من نومهم العميق، وسؤالهم عن المدة الزمنية التي قضوها في الكهف، وبعثهم أحدهم إلى المدينة؛ لإحضار ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف ١٩_٢٠]، وفي بداية هذا المشهد: عطف لجزء من القصة الذي فيه عبرة لأهل الكهف بأنفسهم؛ ليعلموا من أكرمهم الله به من حفظهم عن أن تنالهم أيدي أعدائهم بإهانة، ومن إعلامهم علم اليقين ببعض كيفية البعث، فإن علمه عظيم، والإشارة بقوله:(وَكَذَٰلِكَ) إلى المذكور من إنامتهم وكيفيتها، والمعنى (كما أنمناهم قرونا بعثناهم)، ووجه الشبه: أن في الإفاقة آية على عظيم قدرة الله تعالى مثل :آية الإنامة، ويجوز أن يكون تشبيه البعث المذكور بنفسه للمبالغة في التعجيب، وأسند الجواب إلى ضمير جماعتهم: إما؛ لأنهم تواطؤوا عليه، وإما على إرادة التوزيع، أي منهم من قال: لبثنا يوما، ومنهم قال: لبثنا بعض يوم، وجملة:(إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) علة للأمر بالتلطف والنهي عن إشعار أحد بهم، وأكد التحذير من الإرجاع إلى ملتهم بأنها يترتب عليها انتفاء فلاحهم في المستقبل، لما دل عليه حرف (إذا) من الجزائية، (وأبدا) ظرف للمستقبل كله، وهو تأكيد لما دل عليه النفي بـ (لن)

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ٢٨٣/١٥.

من التأبيد أو ما يقاربه[١]، فالبنية السردية لهذا المشهد؛ لتصوير حالهم بعد بعثهم؛ لينتقل في المشهد التالي لموضع العبرة من قصتهم.

وأما المشهد الرابع والأخير، فتحدث عن حال الناس بعد موت أولئك الفتية بعد تحقق الغاية من بعثهم من نومهم، حيث آمن الناس بما آمن به أولئك الفتية ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [الكهف ٢١_٢٢] .

انتقل في هذا المشهد إلى جزء القصة الذي هو موضع عبرة أهل زمانهم بحالهم، وانتفاعهم باطمئنان قلوبهم لوقوع البعث يوم القيامة بطريقة التقريب بالمشاهدة، وتأييد الدين بما ظهر من كرامة أنصاره، وصيغ ذلك بصيغة الظرفية؛ للدلالة على اتصال التنازع في أمر أهل الكهف بالعثور عليهم بحيث تبادروا إلى الخوض في كرامة يجعلونها لهم، والإتيان بالمضارع؛ لاستحضار حالة التنازع، وظهر الجدل بين الناس حول الفتية، وكان الرأي الراجح بناء مسجد عليهم، كما كان الاختلاف في عددهم، وجاء التوجيه الصريح من الله _عز وجل_ بتفويض أمر عددهم، والمدة التي قضوها في نومهم إلى الله تعالى، "والقصة بهذا التصوير الرائع المثير المعجز تنقل القارئ إلى جوَّها الممتد في الزمن السحيق من بداية العرض، فلا

(١)- التحرير والتنوير ١٥/٢٨٤.

يجد فرصة بعد هذا للانفصال عن هذا الجو، بل يظل في رحلته تلك البعيدة في أعماق الزمن، مبهور الأنفاس، مشدود الأحاسيس، متوتر المشاعر حتى تنتهي القصة، وينسدل الستار[1] ".

ومن هنا يمكن القول: إن قصة أصحاب الكهف والرقيم مقدمة للقصص الأربع، وتظهر فيها صورة الحق في مرحلة من مراحل الصراع (الفرار بالدين)، تتمثل في كون الحق مطاردا ضعيفا، فعندما وجد الفتية أصحاب الكهف أن الكفة مع الطرف الآخر غير متوازنة، وأنهم لن يستطيعوا الوقوف في وجه تلك الفئة الظالمة المعتدية التي بغت عليهم، وأرادت دفعهم إلى الشرك بالله تعالى، وهؤلاء الفتية الموحدون فقدوا فرصة الحوار مع الطرف الآخر، فلم يكن أمامهم سوى الفرار بدينهم وأنفسهم، فكان اللجوء إلى كهف السلامة هو الحل الأمثل لهم.

وقصة أصحاب الكهف والرقيم سلكت طريقين في سردها للأحداث: طريق التوجيه المباشر الذي برز من خلال التعقيبات والتوجيهات الإلهية على المواقف والأحداث المختلفة في مواضع متفرقة من القصة، وطريق غير مباشر يفهم من السياق.

وتتجلى عناصر السرد في قصتهم حين أمر الله الفتية(الشخصيات) باعتزال قومهم، فأرشدهم إلى الكهف (المكان) الذي تدخل إليه الشمس بكرة وعشيا، وقد وصف الله تعالى موضعهم في الكهف(الأحداث) بقوله ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف:١٧]، فأخبرنا الله بصفة هؤلاء الفتية، وبصفة الكهف، ولم يعلمنا بمكانه، فموضعهم في الكهف

(١)- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور: عبدالكريم الخطيب/٦٢.

جعل الشمس تدخل عليهم، ولكنها لا تحرقهم، وكذلك الرياح تدخل عليهم، وبذلك التدبير الرباني ظلوا أحياء في مكانهم تلك المدة الطويلة[١] .

ومن التوجيه المباشر أيضا أن الله _,_ لما وصف حال الفتية عقَّب بقوله: (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧) [الكهف:١٧]،أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له"[٢]، وفي نفس السياق يعقب الله_,_ على الجدل القائم حول عددهم قائلا: (٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا) [الكهف:٢٢]، حيث أرشدهم إلى ترك الجدل حول عددهم؛ لأنه جدل عقيم ليس له أثر في حياة الناس، ولا يخدم الأغراض الدينية والدنيوية التي من أجلها جاءت هذه القصص.

ثم أردف هذا التعقيب بتعقيب جديد على قول رسول الله _ ﷺ_ لسائليه بأنه سيجيب عن أسئلتهم غدا، دون أن يربط ذلك بمشيئة الله تعالى، فخاطبه قائلا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف٢٣_٢٤]، ففي هاتين الآيتين إشارة إلى الأدب في تقديم المشيئة عند الإقدام على فعل شيء في المستقبل، فالله _عز وجل_ علام الغيوب يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

---

(١)- ينظر: تفسير ابن كثير٣/٧٥.

(٢)- السابق ٣/٧٥.

ثم انظر إلى هذا التوجيه الإلهي للنبي ﷺ والمراد أمته أيضا إلى ذكر الله عند النسيان؛ "لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه"(١)، ثم وجهه إلى طلب الهداية والرشاد من الله تعالى في أي حال اشتبه عليه فيها أمر، أو صعبت عليه مسألة.

وفي نهاية القصة أكد الله على قضية رد العلم إلى الله تعالى علام الغيوب، ووجه ﷺ إلى تلاوة القرآن الكريم؛ لأنه الحث الثابت الذي فيه فصل الخطاب لخبر هؤلاء الفتية قائلا: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [الكهف ٢٦_٢٧]، فهي قصة غاية في الروعة والعرض والتوجيهات النافعة للبشرية، فهي بمثابة لسان الحال المعبر عن المقصد الذي من أجله سيقت القصة، والمتمثل في ترسيخ العقيدة السليمة في النفوس.

عنصري الزمان والمكان في قصة أصحاب الكهف: القصة المكانية والزمانية تتمثل في الاقتصار على تقديم الأوصاف والجزئيات التي يكون لها أثرها في تحقيق المقاصد الدينية، فالمهم في القصة القرآنية العبرة المستفادة من سرد تلك الأحداث الواقعية، أما المكان الذي احتضن الشخصيات والزمان الذي حدثت فيه، فأمر ثانوي؛ لأن منهج القصص القرآني في رسم المكان والزمان ليس منهجا تأريخيا، والمعالجة الفنية لعنصري المكان والزمان في القصص الأربع سارت وفق ذلك المنهج القرآني المتميز الذي يتجاوز الجزئيات، والاسترسال في رسم المكان والزمان، ويهتم بتصوير المواقف والأحداث بصورة تحقق المقاصد والغايات.

---

(١)- البداية والنهاية/ابن كثير ٢/١١٧، دار الفكر.

وهذا ما أجده واضحا في قصة أصحاب الكهف والرقيم لم تحدد القصة القرآنية مكان ذلك الكهف العجيب، أو الزمان الذي عاش فيه أولئك الفتية[١]؛ لأن المهم في الأمر أخذ العبرة من حالهم، وليس الإخبار عن المكان والزمان الذين عاشوا فيه، ولكن عندما تطلب الأمر تحديد مدة مكوثهم في الكهف، ذكر النص تلك المدة الطويلة؛ إبرازا لقدرة الله تعالى، فمدة نوم الفتية الطويلة في الكهف، ثم بعثهم مرة أخرى من معجزات الله تعالى، فتعيين المدة أضفى على الحدث مزيدا من الأهمية، وأظهر معجزة الخالق عز وجل ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴿٢٥﴾﴾ [الكهف:٢٥].

إن القصة القرآنية لا يعنيها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة، ولا مدتها، إلا إذا كان في تعيينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها مثل المدة التي نامها أهل الكهف [٢] .

الشخصيات في قصة أصحاب الكهف:

في قصة أصحاب الكف ليس المهم من هم أصحاب الكهف؟ وكم عددهم؟ وما اسم الكلب الذي كان معهم؟، فلم تخبرنا القصة بأسماء الشخصيات، وإنما الأهمية تكمن في العبرة التي نخرج بها من خلال التأمل العميق لهذه القصة؛ لذا لم تخبرنا القصة القرآنية عن هذه الأمور، بل جاء الأمر الصريح بترك أمر الخلاف حولهم؛ لأنه لا فائدة من معرفة عددهم وأسمائهم، ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴿٢٢﴾﴾ [الكهف:٢٢]، وبالرغم من عدم معرفة من هم؟ وكم العدد؟ إلا أن القصة القرآنية متكاملة، وهذه من

---

(١)- ينظر: البداية والنهاية ١١٥/٢.

(٢)- ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د/ التهامي نقرة/٩٧، الشركة التنوسية للتوزيع، ١٩٧٤م.

سمات القصص مفرد الذكر في القرآن الكريم،"فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه تماسكا منطقيا زمنيا في الوقت ذاته؛ بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطي تسلسلي _غالبا_، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق"[١]، ومن ثَمَّ جاء رسم الشخصيات في قصص الكهف الأربع في الاكتفاء بتقديم الأوصاف التي تبرز مقاصدها وتحقق غاياتها، فنجد أن جميع القصص في السورة الكريمة اكتفت بإعطاء الأوصاف التي تسهم في تحقيق المقاصد الدينية، وتركت الجوانب الأخرى التي ليس لها وظائف حيوية في رسم الشخصيات، وتطوير الأحداث.

(١)- بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم/٥١.

المطلب الثاني

(بلاغة العرض والسرد في قصة صاحب الجنتين)

تقوم البنية السردية لقصة أصحاب الجنتين: في ثلاثة مشاهد:

في المشهد الأول قدم صورة الجنتين المزدهرتين ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣﴾ [الكهف ٣٢_٣٣]، وفي هذا المشهد ضرب مثلا للفريقين (المشركين، والمؤمنين) بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبا مؤنقا، وحال الآخر بخلاف ذلك، فكانت عاقبة صاحب الحال الأول تبابا وخسارة، وكانت عاقبة الثاني نجاحا وربحا، فحال هذين الرجلين الممثل به حالا معروفة، فالكلام تمثيل حال محسوس بحال محسوس؛ لأن تلك الحالة متصورة متخيلة، واستعير الظلم للنقص في قوله (وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا) على طريقة التمثيلية بتشبيه هيئة صاحب الجنتين في إتقان خبرهما وترقب إثمارهما بهيئة من صار له حق في وفرة غلتها، بحيث إذا لم تأت الجنتان بما هو مترقب منهما أشبهتا من حرم ذا حق حقه فظلمه، فاستعير الظلم لإقلال الأغلال، واستعير نفيه للوفاء بحق الإثمار[1] ؛ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب، فيكون معرضا للصلاح والنجاح.

وقدم المشهد الثاني: حوارا بين شخصيتين: الرجل الفقير المؤمن بالله تعالى، والرجل الغني الكافر بأنعم الله تعالى، الظان أن النعم التي عنده لا يمكن أن تزول، فدعاه الرجل المؤمن إلى العودة إلى الله القادر على كل شيء ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٣١٨.

لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الكهف ٣٤_٣٥]، فجملة (وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ) في موضع الحال من (لأحدهما)، وفيها معنى الكثرة والمبالغة، ويؤكد هذا قوله (لَهُۥ ثَمَرٌ)، فالثُمُر- بضم الثاء والميم-: المال الكثير المختلف من النقدين، والأنعام، والجنات، والمزارع، وهو مأخوذ من ثمَّر ماله بتشديد الميم بالبناء للنائب، يقال: ثمّر الله ماله إذا كثر، مشتقا من اسم الثمرة على سبيل المجاز أو الاستعارة؛ لأن الأرباح، وعفو المال يشبهان ثمر الشجر، وشاع هذا المجاز حتى صار حقيقة، وإنما أفرد الجنة هنا، وهما جنتان؛ لأن الدخول إنما يكون لإحداها؛ لأنه أول ما يدخل إنما يدخل إحداهما قبل أن ينتقل منها إلى الأخرى، فما دخل إلا إحدى الجنتين(١) .

وفي المشهد الثالث: تصوير لمشهد الدمار والفناء الذي أصاب الجنتين، وتصوير صاحبهما الذي أصبح يقلب كفيه حيرة، وألما، وندما من المصير الذي حل بجنَّته، وهو المصير نفسه الذي توقعه الرجل المؤمن في أثناء حواره معه، فأضحت الجنتان أثرا بعد عين ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف ٤٢_٤٣]، ومن يمعن النظر في طريقة العرض البلاغية لهذه القصة يجد أنها احتوت على مشاهد رهيبة اتفقت فيها الألفاظ مع المعاني، والمعطيات مع النتائج التي توقعها الرجل المؤمن، وكانت في النهاية الحتمية التي أصابت صاحب الجنتين دروس عظيمة تسهم في تصحيح العقيدة في النفوس، ولم تعطف جملة (وَأُحِيطَ) بفاء التفريع على رجاء صاحبه المؤمن؛ إذ لم يتعلق الغرض في هذا

(١)-ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٣١٩.

المقام بالإشارة إلى الرجل المؤمن، وإنما المهم التنبيه على أن ذلك حادث حل بالكافر عقابا له على كفره؛ ليعلم السامعون أن ذلك جزاء أمثاله، وأن ليس بخصوصية لدعوة الرجل المؤمن، وفي تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، فهي حركة يفعلها المتحسر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى ثم إلى قبالته تحسرا على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة، و(على) للاستعلاء، وجملة (عَلَىٰ عُرُوشِهَا) في موضع الحال من ضمير (خاوية)، وهذا التركيب أرسله القرآن مثلا للخراب التام الذي هو سقوط سقوف البناء وجدرانه، وجملة (وَيَقُولُ) حكاية لتندمه على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب، وفي التعبير بالمضارع؛ دلالة على تكرار ذلك القول منه، وحرف النداء مستعمل في التلهف، و(يَٰلَيۡتَنِي) تمن مراد به التندم، وأصل قولهم: (يا ليتني) أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة (ليت) يقول: احضري فهذا أوانك، وهذا ندم على الإشراك فيما مضى، وهو يؤذن بأنه آمن بالله وحده حينئذ، وقوله: (وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ) موعظة وتنبيه على جزاء قوله:(وَأَعَزُّ نَفَرٗا) [الكهف: ٣٤] [(١)]، فاستخدام تلك الأساليب البلاغية في القصة القرآنية؛ لإبراز طريقة العرض، وتصوير المشهد؛ مما يدل على دقة النظم؛ فضلا عن ترك السآمة والملل.

ومن هنا تكمن بلاغة العرض والسرد في هذه القصة التي تقوم على عنصري البداية والنهاية فيما تتوارى عناصر القصة الأخرى، وتغدو القصة تقريبا في مشهدين اثنين: مشهد بداية القصة، ومشهد نهايتها، وهي ظاهرة بارزة في القصص القصيرة، كهذه القصة التي بين أيدينا (قصة أصحاب الجنتين)؛ حيث اتضح فيها تفوق عنصري البداية والنهاية على العناصر الأخرى.

---

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٨/١٥.

وفي قصة الجنتين ترى مشهدا صامتا يصور الجنتين تصويرا حسيا بديعا، فالآيات تبادرنا بتفصيل لمظاهر النعيم التي بدأ صاحب الجنتين يتمتع بها، ومن تعدد مصادر الرزق قوله: ﴿*جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾، وتعدد الأشياء التي تدر عليه الرزق: الأعناب، والنخل الحاف بالجنتين، والزرع الموجود بينهما، ثم يضيف القرآن الكريم مفردة أخرى تسهم في رسم هذه الصورة الغنية الضخمة عن حجم الرزق الذي آتاه الله تعالى صاحب الجنتين، هذه المفردة هي عبارة عن المحاصيل الوافرة السليمة التي درت بها الجنتان ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف:٣٣]، ثم تأتي صورة تفجير النهر؛ لتضفي الحركة والحيوية للانطباع الذي تثيره في أذهاننا صورة الجنتين كما يرسمها لنا القرآن الكريم: (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا)، فهذا النعيم الوافر مع ضعف النفس المالكة لهذا الرزق الواسع محصلته الغرور، والغفلة عن ذكر الله تعالى، والاعتماد على الأسباب الظاهرية، ونسيانه مسبب الأسباب، فهو السبب الأول والأخير في تدفق تلك النعم[1]، فيغتر بأسباب العيش الرغيد التي تيسرت له، ويطمئن إليها ويثق كل الثقة بها، ويستبعد أن تزول هذه النعمة العظيمة، ولم يبق هذا الغرور في داخل نفسه بل أعلنه صراحة (﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ [الكهف:٣٥]، ويبالغ في هذا الغرور حتى يقول ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف:٣٦].

ومن هنا نجد أن المشهد الأول يستأثر مشهد البداية بالاهتمام؛ ويشد الانتباه إلى متابعة حال الرجل، ثم تأتي الشخصيات في هذه القصة، فينشأ حوار بين صاحب الجنتين وأحد أصحابه، ويحاول فيها الصاحب المؤمن ردع المتكبر عن

(١)- ينظر: القصص القرآني: رؤية فنية، فالح الربيعي ١٠٨/١٠٩، الدار الثقافية للنشر٢٠٠٢م.

غروره وكبريائه، ويخوفه عاقبة كفره وغروره، لكنه لا يرعوى عن غيه؛ ويصر على ما هو عليه من كفر النعمة.

ومن يدقق النظر في تناسب القصة يجد ثمة علاقة قوية بين قصة صاحب الجنتين وبداية السورة ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾ [الكهف٧_ ٨]، فالأرض كلها متاع عابر مُنْتهٍ إلى خراب شامل؛ مما يجعل الصاحب المؤمن يؤكد أنه لا يعترف بكل ما قاله صاحبه، وإنما يعترف بأن الوحدانية والربوبية هي لله وحده لا شريك له...، ويعجب من صاحبه الذي لم يقل حين أعجبته جنته: الحمد لله، وما شاء الله لا قوة إلا بالله[١] .

ثم تختصر القصة ما حدث بعد ذلك في كلمتين وجيزتين، (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)، متى؟؟ وكيف؟؟ ليس ذلك مهما، المهم النتيجة التي انتهى إليها؛ لنرى بسرعة نهاية القصة، وقد جلس على أنقاض الجنتين يقلب كفيه حسرة وندامة، وقد تحولتا إلى مجرد أطلال خربة، وغدا في صورة مغايرة تماما لحاله في بداية القصة، فهناك كان فخورا؛ وهنا صار ضعيفا مسكينا يستولي عليه الندم والألم، يقول في توجع وندم وحسرة ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٢]، وهكذا يحيط العذاب من كل حدب وصوب بتلك الثمار التي كانت مصدر غرور واستكبار هذا الإنسان الضعيف النفس؛ ويشعر إلحاق ضمير الملكية(الهاء) بـ(الثمر)، ونسبة هذا الثمر إلى صاحب الجنتين أن الله تعالى أراد من وراء ذلك رسم صورة ساخرة مستهزئة من هذا الإنسان[٢]، ومع إيجاز النهاية

---

(١)- الحوار القرآني بين التفسير والتبصير، أحمد سنبل / ٢٩٢: الطبعة الأولى: ١٩٩٨ – دار هانئ للدراسات والنشر – دمشق.

(٢)- القصص القرآني: رؤية فنية ١١٢.

إلا أنها احتوت تفصيلات جزئية مثيرة، فهنالك أنقاض الجنتين (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)، وهنالك حالة ذلك الشخص يقلب كفيه على ما أنفق فيها؛ وهنالك قوله بحزن شديد (يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا)؛ وهنالك الوحدة المؤلمة حين خذله من كان ينتظر منه العون وبقى وحده (وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا) [الكهف:٤٣]، وهنالك الحقيقة الكبرى التي تعلن عنها القصة، قانونا إلهيا لا يتخلف ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤﴾ [الكهف:٤٤]، وهو إعلان مؤثر يلائم منطق الأحداث التي انتهت إلى تقرير تلك الحقيقة واقعا مشاهدا في حياة ذلك الرجل، هذا وقد أدت القصة دورها ببراعة شديدة معجزة حيث ركزت على البداية والنهاية، فلم توزع الاهتمام على عناصر قصصية متعددة؛ مما زاد قوة التأثير في النفس؛ فأصبحت نموذجا مؤثرا يقدم الحدث ونتيجته مباشرة.

عنصري الزمان والمكان في قصة صاحب الجنتين:

في قصة صاحب الجنتين لم تشر القصة _أيضا_ إلى مكان الجنتين، أو الزمان الذي عاش فيه الرجلان: الغني والفقير، وهذا من خصائص القصص القرآني "، فالقصة القرآنية لا يعنيها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة ولا مدتها إلا إذا كان في تعيينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها مثل: المدة التي نامها أهل الكهف"[1] .

الشخصيات في قصة صاحب الجنتين:

النص القرآني لم يشر إلى من هو صاحب الجنتين؟ ومن الرجل المؤمن الفقير؟

(١)- سيكولوجية القصة في القرآن، د/ التهامي نقرة/٩٧.

المطلب الثالث

(بلاغة العرض والسرد في قصة موسى مع العبد الصالح)

تدور البنية السردية في قصة موسى مع العبد الصالح في مشاهد عدة؛ إذ تمثلت البداية في خروج موسى _عليه السلام_ وفتاه إلى مجمع البحرين؛ بحثا عن العبد الصالح؛ ليتعلم منه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠] إلى قوله ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤])، **والمشهد الأول**: في قصة موسى مع العبد الصالح حيث الاتفاق الذي تم بينهما، والذي يتمثل في ألا يطلب موسى من العبد الصالح أي تفسير للأمور التي يصادفانها في رحلتهما، وقَبِل موسى عليه السلام ذلك الشرط، وعزم على الصبر والطاعة، وفي ذلك إبداء المقابلة بين الخلقين، وإقامة الحجة على المماثلة والمخالفة بين الفريقين المؤمنين والكافرين، وفي خلال ذلك تعليم وتنويه بشأن العلم والهدى، وتربية للمتقين، وبعد أن وجد موسى العبد الصالح انفرد به في بقية المشاهد التي تشكل في مجملها تلك القصة العجيبة المليئة بالمفاجآت والعبر والحكم، ففي سوق هذه القصة تعريض بأهل الكتاب بأن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار أنبياء إسرائيل وعلى سفر؛ لأجل تحصيل العلم والحكمة لا سفر؛ لأجل بسط الملك والسلطان.

وجاء المشهد الثاني: من تلك الرحلة في السفينة التي خرقها العبد الصالح، فاستنكر موسى عليه السلام ذلك الأمر، ولكنه اعتذر بعد أن ذكَّره العبد الصالح بتعهده بترك الأسئلة والصبر على كل ما يصادفانها في رحلتهما، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١] إلى قوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾[الكهف: ٧٣] ؛ حيث بني نظم الكلام على تقديم الظرف على عامله؛ للدلالة على أن الخرق وقع بمجرد الركوب

في السفينة؛ لأن في تقديم الظرف اهتماما به، فيدل على أن وقت الركوب مقصود لإيقاع الفعل فيه، وضمن الركوب معنى الدخول؛ لأنه ركوب مجازي، فلذلك عدي بحرف (في) الظرفية، والاستفهام في (أَخَرَقْتَهَا) للإنكار، ومحل الإنكار هو العلة بقوله: (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا)؛ لأن العلة ملازمة للفعل المستفهم عنه؛ ولذلك توجه أن يغير موسى- عليه السلام- هذا المنكر في ظاهر الأمر، وتأكيد إنكاره بقوله: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)، والإمر- بكسر الهمزة-: هو العظيم المفظع، يقال: أمر، كفرح إمرا إذا كثر في نوعه؛ ولذلك فسره الراغب بالمنكر[1]؛ لأن المقام دال على شيء ضار، ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة، ولم يجعله (نكرا) كما في الآية بعدها؛ لأن العلم الذي عمله الخضر ذريعة للغرق، ولم يقع الغرق بالفعل، والاستفهام في قوله: (ألم أقل إنك) استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم، و(معي) ظرف متعلق بـ (تستطيع)، فاستطاعة الصبر المنفية هي التي تكون في صحبته؛ لأنه يرى أمورا عجيبة لا يدرك تأويلها، وحذف متعلق القول تنزيلا له منزلة اللازم، أي ألم يقع مني قول فيه خطابك بعدم الاستطاعة[2] .

وجاء المشهد الثالث يحكي قصة قتل العبد الصالح للغلام، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ٧٤]، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: ٧٦]، والنظم الكريم في عرضه للقصة يقوم على قضية قتل الغلام الذي كان يلعب مع الغلمان، "وكانوا

---

(١)- أي: منكرا، من قولهم: أَمِرَ الأَمْرُ، أي: كَبُرَ وكَثُرَ كقولهم: استفحل الأمر(المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب /٩٠المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ).

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير١٥/٣٧٥.

على ما قيل عشرة، وأنه لم يكن فيهم أحسن ولا أنظف منه، فأخذه، فَقَتَلَهُ قيل: أخذ برأسه من أعلاه، فاقتلعه بيده، وفي رواية أخرى أنه أخذه، فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، وقيل: ضرب رأسه بالجدار حتى قتله، وقيل: رضه بحجر، وقيل: ضربه برجله، فقتله، وقيل: أدخل أصبعه في سرته، فاقتلعها فمات، وجمع بين الروايات الثلاثة الأول بأنه ضرب رأسه بالجدار أولا، ثم أضجعه وذبحه، ثم اقتلع رأسه"[(١)]؛ لذا قال:(لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا)، ففيه تصوير لهذا الفعل العجيب الذي استنكره موسى عليه السلام على الخضر من شدة بشاعته، فقوله: (فَقَتَلَهُۥ) تعقيب لفعل (لَقِيَا)؛ تأكيدا للمبادرة المفهومة من تقديم الظرف، فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسرع من المبادرة بخرق السفينة حين ركوبها، وكلام موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة سوى أنه وصف هذا الفعل بأنه نكر[(٢)] .

والمشهد الرابع: تمثل في قيام العبد الصالح بإقامة جدار مائل كان على وشك الانقضاض دون الحصول على أجر، على الرغم من رفض أهل القرية إطعامهما، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن اعترض على ذلك الفعل الصادر عن العبد الصالح، وهنا قرر العبد الصالح مفارقة موسى عليه السلام بعد مخالفته لما تعهد به للمرة الثالثة، وقام العبد الصالح بتفسير ما قام به في المرات الثلاث، وهي أفعال خالف ظاهرها ما لدى موسى عليه السلام من علم ومعرفة ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾[الكهف:٧٧]، ومن ينعم النظر في نظم الآية الكريمة يجد دقة النظم في اختيار الألفاظ التي تناسب المعاني، فقد أظهر لفظ (أَهۡلَهَا) دون

(١)- ينظر: روح المعاني ٣١٨/٨.

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير ٣٧٨/١٥.

الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم؛ لزيادة التصريح، تشنيعا بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما، وذلك لؤم؛ لأن الضيافة كانت شائعة في الأمم من عهد إبراهيم عليه السلام وهي من المواساة المتبعة عند الناس، ويقوم بها من ينتدب إليها ممن يمر عليهم عابر السبيل ويسألهم الضيافة، أو من أعد نفسه لذلك من كرام القبيلة، فإباية أهل قرية كلهم من الإضافة لؤم لتلك القرية، وقد أورد "الصفدي" على الشيخ "تقي الدين السبكي" سؤالا عن نكتة هذا الإظهار في أبيات، وأجابه "السبكي" جوابا طويلا نثرا ونظما بما لا يقنع، وقد ذكرهما "الألوسي"[1]، وعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض على طريقة الاستعارة المصرحة التبعية بتشبيه قرب انقضاضه بإرادة من يعقل فعل شيء، فهو يوشك أن يفعله حيث أراده؛ لأن الإرادة طلب النفس حصول شيء وميل القلب إليه[2] .

هذه المشاهد تشكل في مجملها تلك القصة العجيبة المليئة بالمفاجآت والعبر والحكم، فظهور شخصيات جديدة واختفاء شخصيات أخرى عن مسرح الأحداث من الوسائل التي أضفت على قصص سورة الكهف مزيدا من الحركة والتشويق، مثل: شخصية الفتى والحوت هنا؛ حيث غابا عن مسرح الأحداث بعد أن أديا الوظيفة التي من أجلها جاءا في القصة.

عنصري الزمان والمكان في قصة موسى مع العبد الصالح:

في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح لم يصرح القرآن الكريم باسم المكان الذي وقعت فيه الأحداث، ويكتفى بالإشارة إليه بأنه (مجمع البحرين)، ولا يحدد الفترة الزمنية أو العصر الذي كانت فيه تلك الرحلة العجيبة.

---

(١)- ينظر: روح المعاني ٨ / ٣٤٥، والتحرير والتنوير ٧/١٦.

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير ٨/١٦.

الشخصيات في قصة موسى مع العبد الصالح: النص القرآني لم يشر إلى من هو العبد الصالح الذي صاحبه موسى _عليه السلام_ في رحلته، وقد ذكرت كتب التفاسير بأنه الخضر_ عليه السلام[1]، واكتفى النص القرآني بذكر بعض صفاته حيث قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾ [الكهف:٥٦]، فهو عبد من عباد الله تعالى آتاه الله تعالى رحمة، ووهبه علما من لدنه.

(١)- ينظر: حياة الخضر عرض ودراسة، السيد هاشم فياض الحسيني / ٦٥، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

المطلب الرابع

(بلاغة العرض والسرد في قصة ذي القرنين)

جاء العرض قصة ذي القرنين: في أربعة مشاهد، **تحدث المشهد الأول** عن شخصية ذي القرنين، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[الكهف ٨٣ _ ٨٥]، وافتتاح هذه القصة بـ (وَيَسْـَٔلُونَكَ) يدل على أنها مما نزلت السورة للجواب عنه كما كان الابتداء بقصة أصحاب الكهف اقتضابا تنبيها على مثل ذلك، والمراد بالسؤال عن ذي القرنين السؤال عن خبره، فحذف المضاف إيجازا لدلالة المقام، وكذلك حذف المضاف في قوله: (مِّنْهُ) أي من خبره و(من) تبعيضية، وجعل المتلو نفسه ذكرا؛ مبالغة بالوصف بالمصدر(سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا)، والذي يجب الانفصال فيه بادىء ذي بدء أن وصفه بذي القرنين يتعين أن يكون وصفا ذاتيا له وهو وصف عربي يظهر أن يكون عرف بمدلوله بين المثيرين للسؤال عنه فترجموه بهذا اللفظ، ويتعين أن لا يحمل القرنان على الحقيقة، بل هما على التشبيه أو على الصورة، وجعل خبر ذي القرنين تلاوة وذكرا؛ للإشارة إلى أن المهم من أخباره ما فيه تذكير وما يصلح ؛ لأن يكون تلاوة حسب شأن القرآن، فإنه يتلى لأجل الذكر ولا يساق مساق القصص [(١)] .

والمشاهد الثلاثة الأخرى: تحدثت عن رحلات ذي القرنين الثلاث إلى مغرب الشمس ومشرقها وبين السدين، وهذه الرحلات شملت أمما مختلفة "فنجد منها الأمة القوية المتقدمة الظالمة الكافرة الجائرة، ونجد فيها الأمة المتخلفة أو المنسية الفقيرة ماديا، الجاهلية فكريا، ونجد فيها الأمة القوية ماليا، ولكنها متخلفة وعاجزة حضاريا،

---

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ١٦/١٩.

ومقهورة ومغلوبة عسكريا، ومبتزة اقتصاديا من غيرها[١] "، ويلاحظ أن العلاقة بين مشاهد القصة الواحدة وثيقة، فكل مشهد يعد بمثابة التمهيد للمشهد الذي يليه _ رغم هذا الإيجاز في عرض الأحداث_ والمشهد الثاني نتيجة للمشهد السابق؛ وبذلك البناء الجمالي المحكم المعجز ارتبطت المشاهد ببعضها داخل القصة الواحدة، ومن ثم كانت مظهرا جماليا من مظاهر الارتباط بين قصص السورة الأربع ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ۝٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ۝٨٨﴾ [الكهف ٨٥_٨٨]،والسبب: الوسيلة، والمراد هنا معنى مجازي وهو الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرينة المجاز ذكر الاتباع والبلوغ في قوله: (فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ)، والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله تعالى: (وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا) [الكهف:٨٤]) سببا إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أريد به معنى غير ما أريد بالأول حسن إظهار اسمه تنبيها على اختلاف المعنيين، أي فاتبع طريقا للسير وكان سيره للغزو، كما دل عليه قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ)، ولم يعد أهل اللغة معنى الطريق في معاني لفظ السبب لعلهم رأوه لم يكثر وينتشر في الكلام، وجملة (قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ) استئناف بياني لما أشعر به تنكير قوما من إثارة سؤال عن حالهم وعما لاقاه بهم ذو القرنين[٢]، وفي طريقة سرد هذه القصة تبرز تلك السمة البلاغية

---

(١)- قطوف تربوية حول القصص القرآني د/ حمدي شعيب/١١٩، ط١، دار البشير طنطا، ٢٠٠٢م.

(٢)- ينظر: التحرير والتنوير ١٦/٢٥.

(الإيجاز)، وهي من سمات الأسلوب القرآني الأساسية، وأهم فوائد هذه السمة في مجريات القصة القرآنية: ما يظهر جليا من تحريك للحدث وتصعيد إلى ذروته، وتكثيف الحوار والوصف ارتقاء به إلى ذروة الدقة التعبيرية، والقدرة الفائقة على التأثير، وتحريك المشاعر الدافقة لدى المتلقي، والقفز فوق الأحداث الفرعية غير المؤثرة، واقتناص الإشارة المعبرة، وعما هو مؤثر منها، وتصوير أطراف الحدث من زمان، ومكان، وموضوع، وأشخاص بأدق صورة معبرة وأخصرها بالكلام الجامع، ومن خلال أساليب البيان المختلفة التي قننها البلاغيون من خلال مصدرها الأول الذي بين أيدينا الآن: القرآن الكريم [١] .

إن السرد في قصص سورة الكهف الأربع قام على مبدأ عرض مشاهد منتقاة بعناية، تسهم في تحقيق المقاصد العقدية التربوية للقصص، أما الأحداث التي تجاوزتها تلك القصص، فليست مهمة، ووجودها لا يخدم مقاصد تلك القصص، فالقصص القرآني ليس من أهدافه التأريخ للأقوام ومتابعة الأخبار، والحديث عن مصائر البشر، ولكن منهجه يقوم على مبدأ انتقاء الأحداث التي تحقق أهدافه العظيمة[٢] .

عنصري الزمان والمكان في قصة ذي القرنين: في قصة ذي القرنين _أيضا_ لا تذكر القصة شيئا عن المكان، أو الزمان الذي عاش فيه ذو القرنين، فأين مشرق الشمس ومغربها؟ وأين موقع السد الذي بناه؟ وفي أي عصر عاش ذو القرنين؟ وكم مدة مكوثه في تلك الرحلات؟ وغيرها من الأسئلة التي قد تثار حول المكان والزمان الذي عاش فيه.

---

(١)- بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم/ ٧٥.

(٢)- ينظر: جماليات الترابط في قصص سورة الكهف/٣٠، د/ علي بن محمد الحمود، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وهذه الأسئلة تتلاشى أمام العبر والدروس المستفادة من هذه القصة، فالقصة القرآنية، وهي النموذج الأعلى، والمثال الفريد المعجز للقصة تصل إلى تحقيق غاياتها العقدية والدنيوية دون الالتفات إلى الجزئيات التي لا تخدم الأفكار، وتجسد المعاني العظيمة، بل ربما أسهم وجودها في صرف الفكر عن التدبر في تلك المقاصد، فهذا من الإعجاز القصصي وسمة من السمات البارزة في قصص الكهف الأربع، فالقرآن الكريم يتنزه أن يكون مجرد كتاب يؤرخ لحياة الأمم والشعوب، أو قصة تساق لتزجية الوقت؛ لذا كانت عناية القصص القرآني في إبراز الأحداث ذات الصلة بموضوع القصة، دون الالتفات إلى الجزئيات التي يشير إليها واقع الحال، وتدل عليها دلالات ما بعدها وما قبلها عنصر من عناصر القوة في القصص القرآني الكريم[١] ؛ لذا اشتركت قصص سورة الكهف الأربع في إبراز المقاصد مجردة من المكان والزمان، وعمدت إلى إغراق القارئ في موضوعها دون الالتفات إلى المحيط الخارجي والعوامل الجانبية.

يضاف إلى ذلك أن الزمن في القصص الأربع سار سيرا تصاعديا مواكبا حركة الأحداث وتطورها، واتسم بسرعة الإيقاع، وفق تدرج زمني واضح من خلال المشاهد القصيرة المتتابعة التي تفصل بينها فترات زمنية متروكة لا تخدم المقاصد التي ترمي إلى تحقيقها تلك القصص.

الشخصيات في قصة ذي القرنين، (شخصية ذي القرنين): النص القرآني لم يعرفنا بشخصية ذي القرنين، ولم يتحدث عن البيئة الزمانية والمكانية التي عاش فيها، وهذا ليس من منهج القرآن الكريم الذي يهتم بذكر الجزئيات والتفاصيل المتصلة بالموضوع التي تسهم في تحقيق مقاصده العقدية والتربوية.

---

(١)- ينظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور: عبدالكريم الخطيب/٥٦.

ومن اللافت للنظر في شخصيات قصص الكهف الأربع أنها خلت من وجود شخصية المرأة؛ إذ لا يوجد أي امرأة فيها؛ لأن طبيعة الموضوع لم تستدعها؛ مما يدل على انفراد القصص القرآني بسمة خاصة في السرد القصصي؛ حيث الاقتصار على الشخصيات التي تستدعيها طبيعة الموضوع والمواقف المختلفة، فوجود أي شخصية في القصة القرآنية لا بد له من مسوغ موضوعي وفني، وخلو قصص الكهف من عنصر المرأة لا يعني التقليل من أهمية المرأة، أو تهميش دورها، ولكن طبيعة الموضوع وسير الأحداث لم يتطلبا وجودها؛ لذا خلت القصص الأربع منها، بخلاف غيرها من القصص القرآني نجد ذكرها واضحا، بل بذكر بعض أسماء النساء حسب طبيعة الموضوع والأحداث.

ومن ثم يمكن القول: إن العرض في سورة الكهف مميز بالوضوح، والإيجاز، والتأثير القوي، والبنية السردية فيها تعتمد على التشويق، والحوار، والتدرج في كشف الحكمة، ثم يأتي الترتيب، فيعكس حكمًا إلهية في بناء المعاني، وربطها بالعقيدة، والتحديات التي يواجهها الإنسان، وهذا من أوجه الإعجاز القرآني، حيث لا يمكن للبشر أن يبلغوا هذا المستوى من البلاغة في عرض الأحداث وسردها، وترتيبها بهذا الشكل الفريد المعجز.

المبحث الثاني

(وحدة المقصد وبلاغة الترتيب والإعجاز في القصص الأربع)

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية وعلاقة القصص الأربع ببعضها:

من المعلوم _كما ذكر_ أن سورة الكهف انفردت بقصص لم تذكر في سواها، وتمثل تلك القصص وحدة متكاملة تحقق مقصدا واحدا، يتمثل في ترسيخ العقيدة في النفوس من خلال الدعوة إلى التوحيد بإفراد الله بالعبودية، والخلوص من الشرك من خلال القصص الأربع(قصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين)، والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن ذلك إيحاء للمسلمين؛ ليدركوا العناصر الرئيسة التي لا بد أن تتوفر في شخصيتهم، "وهي أمثال تضرب للناس؛ ليتخذوا مما يروي لهم عبرة؛ وليهتدوا إلى صراط مستقيم"[(١)]، فقصة أهل الكهف تمثل عنصر العبادة والعقيدة، وتفسد هذه العبادة بأمرين هما: طغيان المال، وإغواء الشيطان، وذُكرا بعد هذه القصة مباشرة (قصة صاحب الجنتين) حتى يستطيع المسلمون أن يحصنوا عقائدهم، ويحافظوا على عباداتهم، فذكرت قضية المال، وما يسببه من طغيان في قوله سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢﴾ [الكهف:٣٢]، وبعد ذلك ذكرت قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وهذه القصة تبين عنصراً آخر لا بدّ أن يتوفر للمسلم، وهو عنصر العلم؛ ذلك لأن العبادة بدون علم لا يأمن صاحبها على نفسه من أن يضل ويطغى، وتزل قدم بعد ثبوتها.

وأما القصة التالية، فهي قصة "ذي القرنين"، وتمثل العنصر الثالث في حياة المسلمين، وهو عنصر الجهاد، وهكذا رأينا هذه السورة الكريمة تحدثنا عن القضايا

---

(١)- السرد القصصي في القرآن الكريم؛ ثروت أباظة /٥، دار نهضة مصر، القاهرة.

الأساسية التي لا بد للمسلمين أن يتمسكوا بها في هذه الحياة، ولعل أهمها: العقيدة الصحيحة، وتجنب فتنة المال، والحرص على العلم الشرعي الذي يعصم المرء من الزلل، وإحياء فريضة الجهاد.

علاقة القصص ببعضها (التناسب بين القصص): قصص سورة الكهف تتحدث عن فتن أربع، وكل قصة تتحدث عن إحدى هذه الفتن، ثم يأتي بعده تعقيب بالعصمة من كل فتنة، فاتفقت القصص في وحدة المقصد، ومن ثمَّ خضعت السورة الكريمة لموضوع واحد، فقدمت الحق في مراحل مختلفة، وقدمت دروسا في طريقة التعامل مع تلك المراحل[1]، على النحو الآتي:

١ ـ **فتنة الدين**: التي تمثلت في قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم، فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه مدة ثلاثمائة سنة، وازدادوا تسعاً حتى أصبحت القرية كلها على التوحيد، وبعد ذكر القصة تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة (فتنة الدين) قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨]، فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة، وتذكر الآخرة، فكان سبب نجاة هؤلاء الفتية اللجوء إلى الله تعالى والتوكل عليه، فشملهم برعايته، وحفظهم من كل مكروه بآيات معجزة[2].

---

(١)- ينظر: قطوف تربوية حول القصص القرآني، د/ حمدي شعيب ١٢/١١.

(٢)- ينظر: العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبدالحميد محمود طهماز/٧٠، دار القلم، دمشق، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢ـ فتنة المال: التي تمثلت في قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء، فكفر بأنعم الله، وأنكر البعث، فأهلك الله تعالى الجنتين، ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة، قال الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف:٤٥ . ٤٦]، والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا، وتذكر الآخرة، وأن المال ما هو إلا زينة الحياة الدنيا.

٣ـ فتنة العلم: التي تمثلت في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، لما ظن موسى عليه السلام أنه أعلم أهل الأرض أوحى الله تعالى إليه بأن هناك من هو أعلم منك يا موسى، فذهب للقائه، والتعلم منه، فلم يصبر على ما فعله الخضر عليه السلام، حينما لم يدرك الحكمة في أفعال الخضر عليه السلام، وإنما أخذ بظاهرها فقط، وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة، قال الله تعالى:﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾[الكهف:٦٩]، والعصمة من فتنة العلم تكون بالتواضع، وعدم الغرور بالعلم.

٤ ـ فتنة السلطة: التي تمثلت في قصة ذي القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها، ويدعو إلى الله تعالى وينشر الخير، حتى وصل إلى قوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج، فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا، وهنا تأتي آية العصمة، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:١٠٣ .١٠٤]، فالعصمة من فتنة السلطة الإخلاص لله في الأعمال، وتذكُّر الآخرة أيضاً، وفي هذه القصة تبرز سمات طالب العلم، وأخلاقه المتمثلة في التواضع، وبذل الجهد، "فموسى _عليه السلام_ مع علو شأنه لم يمنعه علوُّه عن تحمل المشاق في سبيل العلم دون نظر إلى مكانة من يريد التعلم منه، فموسى نبي الله وكليمه، والخضر ليس بنبي، وإنما هو من أولياء الله الصالحين، ومع ذلك لم

يتردد موسى الكليم عن قطع المسافات الشاسعة؛ ليلتقي بالعبد الصالح، ويستفيد من علمه اللدني الذي وهبه الله إياه"[1]، ومن ثمَّ، فإن قصص السورة الكريمة يربطها محور واحد هو أنها تجمع الفتن الأربع في الحياة: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة، وهو ما يجسد هذه القصص مع الهيكل العام للسورة هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على هذا الإعجاز في ترتيب القصص الأربع؛ حيث يتناسب هذا الترتيب في عرض القصص مع حقيقة الحياة التي نعيشها؛ فضلا عن أن الفن القصصي يعد وسيلة من وسائل القرآن المتعدد، وإنه لفخر كبير لهذا الفن" أن يعتمده القرآن الكريم وسيلة للدعوة إلى الله، وسلاحا لنضال خصوم الإسلام، وأن يتخذه الرسول ﷺعليه أداة للتوجيه والإرشاد"[2]، ومن ثمَّ يعتبر السرد القصصي من أبرز وجوه الإعجاز التي تظهر في طريقة عرض القصص والأحداث، وينماز القصص القرآني بالأسلوب الموجز الذي يركز على المعاني العميقة والعبر دون الدخول في تفاصيل زائدة.

(١)- إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني/٧٧، مكتبة الغزالي، سوريا، ط٢، ١٣٩٩/١٩٧٩م).

(٢)- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبد الرحمن رأفت باشا/١٨٤، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

المطلب الثاني

أسرار ترتيب القصص الأربع على هذا البناء الإلهي:

جاء ترتيب القصص الأربع في السورة الكريمة خاضعا لاعتبارات بلاغية، وتناسب عجيب يرتبط بالموضوع ومقاصده، فكما ذُكر أن قصص الكهف تمثل وحدة متكاملة، وتحقق مقصدا واحدا يتمثل في ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس من خلال الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، والخلوص من الشرك.

ويستغرق قصص السورة الكريمة معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة صاحب الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها.

ومن ينعم النظر يجد القصص الأربع مرتبة بطريقة سردية معجزة، فتأتي القصة مؤكدة للقصة السابقة لها متفقة ومنسجمة مع التي قبلها في السياق نفسه، حيث عالجت تلك القصص على التوالي قضايا دنيوية، وأخروية تمس شؤون العقيدة، والمال، والعلم، وشؤون الحكم والسلطان، فكل قصة من القصص الأربع تعالج جانبا من جوانب تتعلق بالبشرية في دنياه وأخراه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾[الكهف:١]، وموقع الافتتاح بهذا التحميد كموقع الخطبة يفتتح بها الكلام في الغرض المهم، إلى نهاية قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف:١٠]، كذلك تجد الحركة من أبرز السمات المسيطرة على الجو النفسي في قصص سورة الكهف الأربع، والحركة" هي الروح التي تسري في كيان العمل القصصي، وتبعث فيه الحياة، وتجعل بينه وبين الناس تجاذبا وتجاوبا، وإنه بغير الحركة، والحركة المتنوعة الملونة، يفقد العمل

القصصي حيويته، ثم حياته، ويتحول إلى كتلة جامدة باردة من الكلمات[١] "؛ لأجل ذلك استحق الله تعالى أكمل الحمد إخبارا وإنشاء، وقد تقدم إفادة جملة (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) استحقاقه أكمل الحمد في صدر سورة الفاتحة، وهي هنا جملة خبرية، وأجرى على اسم الجلالة الوصف بالموصول؛ تنويها بمضمون الصلة، ولما يفيده الموصول من تعليل الخبر[٢] .

ومن يمعن النظر في ثنايا القصص التي جاءت على هذا الترتيب المعجز يجد ثمة علاقة قوية ربطت بين مقدمة السورة وخاتمتها، فقد عملت القصص الأربع على تأكيد ذلك المفهوم، وترسيخه، وتقويته في النفوس (تصحيح العقيدة، وترك أمر الغيب لله)؛ لذا جاءت قصص السورة على هذا الترتيب، ونجد هذه اللحمة ربطت القصص الأربع بالسورة الكريمة، فجاءت متفقة مع السياق العام للسورة ومقصودها[٣]، فضلا عن طريقة العرض المعجز للقصص الأربع الذي بدا نسقا واحدا، وبناء مترابط الأجزاء، وكأنها قصة واحدة تجمعها وحدة الموضوع، ووحدة المقصد، ووحدة الشعور والجو النفسي، ووحدة المنهج، فكانت المعالجة للعرض (معالجة فنية كما يطلق عليها أصحاب البنية السردية، ومعالجة إعجازية فيها من البلاغة، ودقة النظم، وحسن الترتيب ما فيها، فالقصص القرآني معجز بنسيجه؛ حيث الوحدة في الموضوع، والأسلوب، والنظم، والغاية، والهدف؛ لأنه "نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم، أو خيال، إنه بناء شامخ

---

(١)- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب/١١٩، دار المعرفة، بيروت.

(٢)- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٥٤٦/١٥ : الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ .

(٣)- ينظر: مقصود السورة في التمهيد/٦.

من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه"[1]، بخلاف القصة البشرية التي يعتريها التغيير، والنقص، والضعف في كثير من جوانبها الموضوعية، والفنية؛ لذا كان القصص القرآني معجزا في عرضه، وترتيبه، فليس مجرد قصص، وإنما أمثال تضرب للخلق؛ للعظة، والاهتداء مع اكتمال جوانبها الفنية في سردها بشكل مترابط، ومتكامل، ومحكم، وبذلك كان القصص القرآني معجزة من معجزات القرآن البيانية.

وقد علمنا أن محور القصص في السورة يدور حول: تصحيح العقيدة، وتصحيح النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة؛ لذا كان هذا الترتيب أمرا معجزا يظهر دقة النظم القرآني، فنجد السورة من مطلعها إلى خاتمتها تدور حول ثلاثة محاور، فكان هذا الترتيب بين القصص الأربع؛ لخدمة هذه المحاور.

المحور الأول: (**تصحيح العقيدة**)؛ حيث اشتملت على قصص أربع تمثلت في الفتن التي ربما يتعرض لها الإنسان في هذه الحياة، ففي أولها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف:١] إلى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف:٥]، وفي آخرها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠]، فيتحد البدء والختام في إعلان الوحدانية، وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث، فالحصر في قوله: (إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) من باب قصر الموصوف على الصفة، وهو إضافي للقلب أي: ما أنا إلا بشر لا أتجاوز البشرية إلى العلم بالمغيبات، وأدمج في هذا أهم ما يوحى إليه، وما بعث لأجله، وهو توحيد الله، والسعي لما فيه السلامة عند لقاء الله

(١)- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، عبدالكريم الخطيب/٧، مؤسسة دار الأصالة، ط١(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

تعالى، وهذا من رد العجز على الصدر من قوله في أول السورة ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ إلى قوله ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٢- ٥]، فكان لا بد من هذا الترتيب العجيب المعجز بين القصص الأربع؛ لذا جاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة؛ إذ جعل التوحيد أصلا لها، وفرَّع عليه الأصليين الآخريين، وأكد الإخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى، وحصل مع ذلك رد العجز على الصدر، وهو أسلوب بديع(١).

ويؤكد هذا المحور من خلال السياق الوارد في قصص السورة، ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝١٤﴾ [الكهف: ١٤]، فتذييل الآية استئناف بياني لما أفاده توكيد النفي بـ (لن)، وإن وجود حرف الجواب في خلال الجملة ينادي على كونها متفرعة على التي قبلها، واللام للقسم، والشطط: الإفراط في مخالفة الحق والصواب، وهو مشتق من الشطط، وهو البعد عن الموطن؛ لما في البعد عنه من كراهية النفوس، فاستعير للإفراط في شيء مكروه، أي لقد قلنا قولا شططا، وهو نسبة الإلهية إلى من دون الله(٢)، وفي التعقيب عليها ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الكهف: ٢٦]،وفي قصة الجنتين يقول الرجل المؤمن لصاحبه، وهو يحاوره: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝٤٤﴾ [الكهف ٤٣_٤٤]، وفي مشهد من مشاهد يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ١٦/٥٥.

(٢)- السابق ١٥/٢٧٤.

يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ **[الكهف:٥٢]، فقد سلك في إبطال ألوهيتها طريق "المذهب الكلامي"، وهو الاستدلال على انتفاء الماهية بانتفاء لوازمها، فإنه إذا انتفى نفعها للذين يعبدونها استلزم ذلك انتفاء إلهيتها، وحصل بذلك تشخيص خيبتهم ويأسهم من النجاة، وفي التعقيب على مشهد آخر قال تعالى:** ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ **[الكهف:١٠٢]، فأعقب وصف حرمانهم الانتفاع بدلائل المشاهدات على وحدانية الله، وإعراضهم عن سماع الآيات بتفريع الإنكار لاتخاذهم أولياء من دون الله يزعمونها نافعة لهم تنصرهم.**

المحور الثاني: يأتي دور تصحيح منهج الفكر والنظر، وهذا أيضا من بلاغة الترتيب بين قصص السورة، فيبدو واضحا في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به، فليدع أمره إلى الله، ففي مطلع السورة: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف ٤_٥]، والفتية أصحاب الكهف يقولون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف:١٥]، وفي الإشارة إلى قومهم بـ (هؤلاء)؛ لقصد تمييزهم بما سيخبر به عنهم، وفي هذه الإشارة تعريض بالتعجب من حالهم، وتفضيح صنعهم، وهو من لوازم قصد التمييز، وعندما يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف يكلون علمها لله ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف:١٩].

وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجما بالغيب ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢﴾ [الكهف:٢٢]، ثم ننتقل إلى قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح عندما يكشف له عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى يقول: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨﴾ [الكهف:٩٨]، فيكل الأمر فيها لله.

وأما المحور الثالث: وهو تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة؛ حيث يرد القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار، فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وانطفاء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف ٧ـ ٨]، ومناسبة موقع هذه الآية، وما بعدها هنا خفية جدا أعوز المفسرين بيانها، فمنهم ساكت عنها، ومنهم محاول بيانها بما لا يزيد على السكوت، والذي يبدو: أنها تسلية للنبي -ﷺ- على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وأنهم بطروا النعمة، فإن الله يسلب عنهم النعمة، فتصير بلادهم قاحلة[1]، وانظر إلى لطف الله الخفي الذي يحمي العبد الموحد، فحماه أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق، والفتية المؤمنون أصحاب الكهف يقولون بعد اعتزالهم لقومهم ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾ [الكهف: ١٦]، وتهيئته مستعارة للإكرام به والعناية، تشبيها بتهيئة القرى للضيف المعتنى به، وجزم ينشر في جواب الأمر، وهو مبني على الثقة بالرجاء والدعاء، وساقوه مساق الحاصل؛ لشدة ثقتهم بلطف ربهم بالمؤمنين، والخطاب موجه إلى الرسول -ﷺ-؛ ليصبر نفسه مع أهل الإيمان، غير مبال بزينة الحياة الدنيا وأهلها الغافلين عن الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨]، وزيادة فعل الكون؛ للدلالة على تمكن الخبر من الاسم، أي حالة تمكن الإفراط والاعتداء على الحق، وأما

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٢٥٦.

قصة الجنتين فتصور كيف يعتز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة؟ وكيف يجبه صاحبها المنتفخ بالحق، ويؤنبه على نسيان الله؟ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧].

وعقب القصة يضرب مثلا للحياة الدنيا، وسرعة زوالها بعد ازدهارها ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥]، ويعقب عليها ببيان للقيم الزائلة، والقيم الباقية: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦].

وذو القرنين لا يذكر؛ لأنه ملك، ولكن يذكر لأعماله الصالحة، وحين يعرض عليه القوم الذين وجدهم بين السدين أن يبني لهم سدا يحميهم من يأجوج ومأجوج في مقابل أن يعطوه مالا، فإنه يرد عليهم ما عرضوه من المال؛ لأن تمكين الله له خير من أموالهم ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف:٩٥]، وحين يتم السد يرد الأمر لله لا لقوته البشرية: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٩٨].

وفي نهاية السورة يقرر أنَّ أخسر الخلق أعمالا هم الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، وهؤلاء لا وزن لهم، ولا قيمة، وإن حسبوا أنهم يحسنون صنعا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف١٠٣_١٠٥]، وهكذا نجد أن محور السورة يدور في فلك واحد هو التصحيح: تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة، وجاءت القصص مرتبة بهذا الترتيب؛ ليتناسب مع هذا التصحيح.

المطلب الثالث

أبرز ملامح الإعجاز في القصص الأربع:

اشتملت السورة الكريمة على ألوان كثيرة من الإعجاز من خلال دقة النظم في اختيار الألفاظ، وطريقة النسق، والسرد في كل قصة حسب توجيه المعاني ومقاصد السورة، وقبل بيان أبرز ملامح الإعجاز بألوانه (البياني، والعلمي، والعددي) للقصص الأربع لا بد من التذكير بأغراض السورة الكريمة ومضامينها؛ حيث تحمل العديد من الحكمة والدروس، ومن أبرزها حفظ النفس من الفتن، كما تشير السورة إلى أهمية التمسك بالإيمان للهروب من الفتن المحيطة، وقصص السورة تعتبر عبرًا، فكل قصة تحمل دروسًا ومعاني عظيمة، كما تتناول السورة أهمية الاستقامة والتمسك بالدين، حتى في الأوقات الصعبة، فتجد السورة الكريمة افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب، وأدمج فيها إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا، وبشارة للمؤمنين، وتسلية رسول الله -ﷺ- عن أقوالهم، وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا وزينتها، وأنها لا تكسب النفوس تزكية، ثم الانتقال إلى خبر أصحاب الكهف المسئول عنه، وحذرهم من الشيطان وعداوته لبني آدم؛ ليكونوا على حذر من كيده، وقدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها، وهي قصة موسى والخضر - عليهما السلام-؛ لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف، فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى - عليه السلام- خرج في طلب العلم، وفي ذكر قصة موسى تعريض بأحبار بني إسرائيل؛ إذ تهمموا بخبر ملك من غير قومهم، ولا من أهل دينهم، ونسوا خبرا من سيرة نبيهم، وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي -ﷺ- وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها، وما يعقبها من البعث والحشر، والتذكير بعواقب الأمم المكذبة للرسل، وما ختمت به من إبطال الشرك، ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة

علم الله تعالى، وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله -ﷺ-، فكان في هذا الختام محسن رد العجز على الصدر[1].

وأول ما يطالعنا من ملامح الإعجاز البياني اختيار النظم القرآني كلمة (كهف)؛ حيث تكررت ست مرات في الآيات (٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ٢٥)، وهذه الكلمة هي محور السورة كلها؛ لذا كانت لها الصدارة في الحديث عنها في الإعجاز البياني، فعند التأمل في أصوات هذه الكلمة والمعنى الذي وردت فيه نجد المشاكلة التي تحدث عنها "ابن جني" ماثلة فيها؛ لأن انتقال النطق من شدة صوت الكاف، ووقفيته إلى الرخاوة والهمس في كل من الهاء والفاء[2]، شبيه بانتقال الفتية من حال الشدة والخوف لو بقوا مكشوفين خارج الكهف إلى حال الأمن والدعة داخلة، كما أن شكل تجويف الفم، وهو ينتقل من الفتحة القصيرة في صوت الفاء يعطي كهفا فمويا باباه الكاف والفاء، وبهوه الهاء؛ لذلك كانت هذه الكلمة أنسب مرادفاتها لهذا المكان.

ومن ينعم النظر في مضامين السورة الكريمة يبدو له أن سورة الكهف مليئة بالكهوف، ولكنها كهوف معنوية، والكهف الحقيقي هو ما ذكر في أولها عند الحديث عن أصحاب الكهف، ذكر بمعناه الحقيقي، وهو فجوة في الجبل تحجب من فيها عن الناس يختبئ فيها من يريد الفرار من الناس؛ ليحتمي عن أعين من يطارده، فلا يرونه، والمطاردة هنا ليست عن سرقة ولا نهب ولا قتل، ولكنهم فتية فروا بدينهم؛ هربا من الطغاة في زمانهم.

ومن عجيب النظم والسرد القصصي أن الشخصيات هنا شباب ليسوا شيوخا أو نساء، ومن العجب أن هذا الكهف إن ضاق عليهم في المساحة كما في عقولنا

---

(١)- ينظر: التحرير والتنوير ٢٤٥/٤٢.

(٢)- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم منصور ص٨٨، ٤٦، ط٥، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٧٩م.

جميعا إلا أنه لا يضيق عليهم إنعاما ورحمة فلا يحسون بضيق المكان، والزمن يتوقف فيه، فلا يحسون بضيق الزمان، بل تأتي رحمة الله؛ لتحيط بهم، وهذا يعطينا درسا عظيما لمن يريد أن يفر من الفقر وغيره سيجد عناية الله ورحمته تحيط به من كل جانب ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠]

ومن رحمته بأصحاب الكهف أنه سبحانه لم يجعلهم يفكرون في أنهم مضطهدون حتى لا يعيشوا في قلق ورعب من أن يلحق بهم الطغاة الكفرة، أو يكتشفوا مخبأهم، كما أزال الله من حياتهم هم البحث عن الطعام والشراب، كي لا يتعرضوا لظروف قاسية في خروج أحدهم لجلب الطعام والشراب؛ ولذلك ألقى الله عليهم أمنة نعاسا، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨]، فهم لا يشعرون بالوقت، ولا يحتاجون لطعام ولا شراب، فالإعجاز هنا أن الله خلصهم من كل ضيق دنيوي، فلم يحسوا بضيق المكان، ولا بملل الزمان، ولا أحسوا بقلق توقع الخطر، ولا أحسوا بضيق حياتهم.

ومن الأسرار العجيبة من الإعجاز العلمي أن هذا النعاس لم يكن يوما أو بعض يوم ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[الكهف: ٢٥]، فالله أوقف تأثير الزمن عليهم، فلم يروا تأثير الزمن على أجسادهم، فمن الإعجاز ألا يبيض شعرهم الأسود، وألا تظهر عليهم التجاعيد في أيديهم ووجوههم، وقوتهم الجسدية كما هي، فلما أبطل الله بالنسبة إليهم هذا المقياس الزمني أصبحوا غير خاضعين لتأثيرات الزمن، فقاموا ووجدوا أن هيئتهم كما هي لم تتغير، وهذا من دقة النظم، وروعة

البيان، وقمة الإعجاز في هذه القصة العجيبة، ونظيرها قصة العبد الصالح في سورة البقرة[1] .

ومن الأسرار البيانية والعلمية في أصحاب الكهف هذه الآية(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ) [الكهف:١٨]، فالله سبحانه وتعالى أنامهم ثلاث مائة عام وتسعة، فكانت هنا معجزة عظيمة خارقة تجلت فيها مظاهر القدرة، فالرقاد الطويل يفسد الجسد، والتصاقه بالأرض فترة طويلة يعرضه لأضرار بالغة؛ لذا كان من الإعجاز ألا يفسد جسدهم أو يلحق به أي ضرر طوال هذه المدة، فكان درسا عظيما للأطباء أن يأمروا أهل المريض الذي لا يستطيع الحركة بتقليبه يمينا ويسارا؛ حتى لا يصاب بقرحة الفراش.

وهنا سؤال عجيب، لماذا الكلب باسط ذراعيه، ولم يتقلب بينما أهل الكهف تقلبوا يمينا وشمالا؟ قرأنا سورة الكهف كثيرآ، ولم تستوقفنا ملاحظة عدم تقليب الكلب أثناء نومه رغم أننا كنا نعرف أن تقليب أصحاب الكهف أثناء نومهم هو من أجل ألا تتقرح أجسامهم، لكن كانت هذه المعجزة سببا في إسلام أحد الأطباء الألمان.

يقول أحد العلماء في طب الألمان كنت مسافرا يوما، وصادفني في المطار شاب قدم لي نسخة مترجمة من القرآن الكريم شكرته، ووضعت النسخة في جيبي على نية إلقائها في سلة مهملات بعد أن يتوارى الشاب عني حتى لا أحرجه، ونسى الطبيب النسخة في جيبه وصعد إلى الطائرة، وبسبب طول الرحلة والملل الذي

---

(١)- ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

يتخللها قال أخرجت نسخة القرآن من جيبي عندما أحسست بوجودها، ثم فتحتها وقلبت الصفحات، فوقعت عيني على سورة الكهف فقرأت، ثم استوقفتني آيتين، وهما قوله سبحانه ﴿*وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف ١٧_١٨]،يقول الطبيب: إن تقليبهم وهم نائمون مفهوم من أجل ألا تتقرح أجسامهم إذا بقوا نائمين على وضعية واحدة، لكن ما فاجأ الطبيب قوله في الآية السابقة عليها: (وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ)، بمعنى أن الشمس تدخل الكهف كل يوم، لكنها لا تأتي على أجسامهم مباشرة، ويقول بأن هذا معروف في علم الطب، فحتى لا تحصل تقرحات السرير يجب أن تكون الغرفة مهواة وتدخلها الشمس دون أن تكون مباشرة على الجسم، ثم عاد الطبيب للتفكر في الآية التالية؛ حيث يقول: إنه فعلا حتى لا تحصل التقرحات يجب أن يقلب الراقد حتى لا يتقرح الجسم، ويتعفن، وتأكله الأرض، لكن الذي أدهش الطبيب أن كلبهم لم يكن يقلب مثلهم، وإنما باسط ذراعيه بالوصيد على وضعية واحدة طوال ثلاثمائة وتسع سنين، ولم يتقرح جسمه، ولم يتعفن[1] .

هذا الأمر دفع الطبيب الألماني إلى دراسة فسيولوجية الكلاب، وما أدهشه أنه وجد أن الكلاب تنفرد بوجود غدد تحت جلدها تفرز مادة تمنع تقرح الجلد ما دام في جسد الكلب حياة ولو لم يتقلب؛ ولذلك لم يكن كلبهم يقلب مثلهم في الكهف.

(١)- موقع العين الإخبارية، نقل عن الدكتور محمد النجار، الباحث في كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة.

هذا الطبيب أسلم بسبب هذا الأمر الإعجازي، وما أدهشني أن الطبيب الألماني من أول قراءة للسورة استوقفته أمور إعجازية، ولم يمر عنها مر الكرام كما نفعل نحن، فسبحان الله العظيم!!!.

ومن عجيب أسرار القصة أن الله ضرب على آذانهم، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف:١١]، فلا تعمل حتى لا ينزعجوا طوال هذه المدة من كل الأصوات التي تقلقهم مثل: العواصف، والرياح، والبرق، والرعد، وأصوات الحيوانات المفترسة، وجعل أشعة الشمس تميل عن كهفهم إذا أشرقت، وإذا غربت لا يدخل من أشعتها إلا القليل، فكان النوم في هدوء تام لسنوات عديدة نوما عميقا، (وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ) [الكهف:١٧]، وهذه آية خارقة من آيات الله ومعجزاته التي لا تدركها البشرية بعقولهم المجردة.

ومن بلاغة القصة في سردها أن الكهف أمر مخفي وناسبه أن الله أخفى عنا كل شيء عن أصحاب الكهف ما عدا قصتهم، فأخفى المكان، وأخفى الزمان، وأخفى أسماء الفتية، وأخفى عددهم، وكل هذا لسر وحكمة وهي أن الله يريد أن يشيع عمومية الحدث في كل الأزمان والأمكنة، فلو عرفنا الزمن؛ لقيل هذه خصوصية زمان، فلا يحدث الآن، ولو عرفنا المكان؛ لقيل هذه خصوصية مكان "بقعة مباركة"؛ ليحدث فيها حدث وينتهي، كنداء موسى عليه السلام في بقعة مباركة بجانب الطور الأيمن ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم:٥٢].

كما أخفى الله مكان أهل الكهف حتى لا يقال إنها خصوصية مكان حدثت، ولا تتكرر في أي مكان آخر، فتركه مبهما كما ترك الزمان مبهما، ولم يعلمنا بهم حتى لا يقال هي خصوصية أشخاص، وأعطاهم الله ما لم يعط أحدا من العالمين.

كما أخفى الله عددهم حتى لا نعطي هذا العدد أي معنى مقدس كما في العدد(١٩) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدَّثر: ٣٠]، وهكذا أخفى الله سبحانه وتعالى مكان، وزمان، وعدد أصحاب الكهف؛ لينبهنا إلى أن مثل أحداث هذه القصة يمكن أن تحدث في أي مكان، وفي أي زمان لأي عدد من الفتية المؤمنة الذين يفرون بدينهم من طغيان الكفر، فهؤلاء تشملهم رحمة الله؛ فيعطيهم سعة الرزق، ويعطيهم سعة المكان، فلا مانع أن تتكرر هذه القصة.

وفي قصة صاحب الجنتين إبهام للمكان والزمان أيضا؛ ليدل على شيوعها في كل زمان ومكان، وهي قصة الغرور البشري بالنعمة، فالإنسان بغفلته يتصور أنه بالنعمة قد استغنى عن المنعم وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا ظلم للنفس، وطغيان وكفر بنعمة الله، فكل شيء خاضع لمشيئة الله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف٢٣_٢٤]، ومن الحكمة في هذه القصة أن الله –سبحانه وتعالى_ عادل في حكمه، فقد أخذ الرجل بالأسباب، فزرع، وحرث، وسقى، واعتنى، فأعطته الرزق الوفير، فكأن الأرض لم تظلمه، أخذ بالأسباب، فأعطته الأسباب، ولم يقع أي ظلم عليه إننا نأخذ بالأسباب ونسعى بها، ولكننا لا نتنبه إلى أن الأسباب تخفي وراءها إرادة المسبب، وهذا هو الكهف الحقيقي الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يلفتنا إليه؛ لنعرف أن الأسباب لا تعطي بذاتها، ولكن وراءها دائما إرادة المسبب.

فالإعجاز في كيفية الدمار لهذا الرجل بعد هذا الخير الوفير الظاهر للأعين المجردة، فالله سبحانه يلفتنا إلى ذلك حتى لا نعبد الأسباب، ونترك خالق الأسباب، وحتى لا تغرنا الدنيا، فنعتقد أننا نستطيع أن نفعل بذاتنا دون الاستعانة بالمسبب ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف:٤٢]، فيريد الله سبحانه أن يلفتنا أن نعبده وحده، وأن نعرف

أنه إذا كانت هناك أسباب موجودة في الدنيا، فإن يد الله ممدودة بالأسباب، فهذا الرجل نسب لنفسه قدرات الله سبحانه، والله هو الذي أعطاه الولد، ولكنه بالغرور البشري نسب هذا لنفسه، فحق عليه العقاب ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف:٣٥].

ومن الأسرار العجيبة لقصة موسى والعبد الصالح أن العبد الصالح كان يعرف أن موسى عليه السلام لن يصبر على ما يراه؛ ؛ لأنه يرى الظاهر فقط، ولا يعرف السر؛ فإنه سيضيق صدره بما يرى أمامه من أشياء يعتقد أنها شر بينما هي خير،؛ لذا كانت القصة ونهايتها فراق، فالعبد الصالح يعلم ما خفي عن موسى، ويعلم أنه لا يستطيع الصبر على هذه الأحداث والمشاهد التي سيراها، ولكنه يريد أن يزداد معرفة بأسرار علم الله، فعرض عليه ثلاثة مشاهد كل مشهد يحتاج إلى صبر جميل؛ لكن موسى عليه السلام لم يستطع أن يصبر بل سأل عن قتل الغلام، وعن خرق السفينة، وعن بناء الجدار، وموسى عليه السلام يجهل الحكمة؛ لأن عنده ظاهر العلم، فرتب على الأحداث التي أمامه نتائج بعيدة عن الحقيقة، ولا بد أن نعلم أن لله أسرارا يضعها في بعض خلقه، فإن صادفك سر من هذه الأسرار فلتسكت، ولا تحاول أن تعطي الأشياء غير حقيقتها، ومهما كان الإنسان عالما، فهناك من هو أعلم منه ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف:٧٨]، فالله سبحانه يعلمنا من هذه القصة أن هناك فراقا بين أهل المعرفة وأهل الظاهر، وأنهما لا يمكن أن يلتقيا.

وفي القصة إعجاز، ففي قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف:٧١] يوضح الخضر لموسى أهمية الاستبصار والتدخل قبل وقوع الكارثة، وهو مفهوم متقدم في الفكر الإداري الحديث،

وهذه أمثلة على كيف يمكن للآيات القرآنية أن تتضمن إشارات علمية تعكس معرفة تفوق زمن نزولها، وفي هذا يكمن الإعجاز!؟

ومن ثمَّ تجد سورة الكهف مليئة بالبلاغة والجمال البياني، حيث تتجلى من خلالها قوة التعبير القرآني، ودقة اختيار الكلمات بما يخدم المعاني المقصودة، **ويبدو هذا جليا في قصة ذي القرنين**، ومن أبرز أساليب البلاغة في هذه القصة:

١. الإيجاز والإطناب في مواضع الحكمة، فالقصة تأتي بإيجاز شديد، لكنها تحمل معاني غزيرة، فمثلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف:٨٤] هذا التعبير يوجز مدى القوة والتمكين الذي منحه الله لذي القرنين، دون حاجة لتفصيل ممل، مما يفتح المجال للتأمل.

٢. التركيز على العدل والتواضع: يظهر ذلك في قول ذي القرنين ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٩٨] هذه العبارة تُبرز تواضع ذي القرنين واعترافه بأن ما حققه من إنجازات هو بفضل الله ورحمته، لا بقدرته الشخصية.

٣. تنوع الأساليب البلاغية: كالتكرار: في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف:٨٥] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾[الكهف:٩٢]،فتكرار هذه العبارة يشير إلى تصميم ذي القرنين واستمراريته في السعي؛ لتحقيق الأهداف، والتضاد: مثل تضاد ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦]" (عين طينية) مع ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف:٩٣]" (أماكن جبلية)، مما يُظهر التنوع في جغرافية الأرض التي مر بها ذو القرنين، والتفصيل بعد الإجمال: بداية القصة جاءت إجمالية عن التمكين، ثم تفرعت إلى ذكر رحلاته الثلاث.

٤. ومن الصور البيانية في القصة: الاستعارة: في وصف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف:٨٦]، هنا استعارة تصويرية تبين كيف يبدو المشهد لمن يصل إلى أقصى الغرب، حيث تبدو الشمس، وكأنها تغرب في الماء، ثمَّ الكناية: في قوله: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الكهف:٨٥]، فهي كناية عن تسخير الأسباب المادية والمعنوية التي منحها الله له للوصول إلى أهدافه، وفيها من الإعجاز العلمي إشارة إلى استخدام ذي القرنين لوسائل مواصلات متقدمة قد تكون تشير إلى المعرفة والتقدم في وسائل النقل.

٥. الإقناع العقلي: القصة تُظهر الحكمة في التعامل مع الناس وفق احتياجاتهم وقدراتهم، فمثلًا: عندما طلب منه قوم يأجوج ومأجوج بناء سد لم يكتفِ ببنائه، بل أشار إلى ضرورة التعاون قائلاً: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف:٩٥]، هذه العبارة تجمع بين القوة المادية والتشاركية، كوسيلة لحل المشكلات.

٦. الإيقاع الصوتي: استخدام الكلمات مثل ﴿رَدۡمًا ٩٥﴾ و، ﴿زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ [الكهف:٩٦] يضفي على النص إيقاعًا صوتيًا يعبر عن الثقل والقوة المرتبطة بعملية بناء السد، وهذا من استخدام الألفاظ التي تلائم المعاني.

٧. بلاغة السرد من خلال التدرج في الأحداث: فالقصة تبني الأحداث بشكل متدرج ومشوق من مغرب الشمس إلى مشرقها، ثم إلى السدين مع تصاعد التشويق في التعامل مع يأجوج ومأجوج.

٨. توجيهات تربوية: القصة مليئة بالحِكم التي تُقدَّم بطريقة بلاغية، منها: الإشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب رغم الإيمان بقدرة الله، وضرورة العدل والقوة مع تواضع الحاكم، والاعتماد على العمل المشترك؛ لتحقيق الأهداف.

وخلاصة الأمر: أن البلاغة في قصة ذي القرنين تتمثل في إيجاز المعنى وعمقه، ومن ثمَّ الصور الجمالية التي تجعل المشاهد حية في الذهن، واللغة المحكمة التي تخدم الأهداف الدينية والتربوية، فهذه القصة مثال بديع على قوة التعبير القرآني في تقديم العبرة بأسلوب لا مثيل له.

ومن دقة النظم القرأني الإعجاز العددي في السورة الكريمة:

يُعْتَبَرُ الإعجاز العددي في القرآن الكريم من المواضيع التي جذبت انتباه العديد من الباحثين في مجال الدراسات القرآنية، وسورة الكهف ليست مستثناه، ففيها عدد من النقاط التي تشير إلى الإعجاز العددي، فتعكس التناسق والإبداع في النص القرآني، وأول ما يطالعنا عدد الآيات، فسورة الكهف تحتوي على عشر ومائة آية، فهذا العدد نفسه يشير إلى التوازن والترتيب في القرآن الكريم، وكلمة "وَلَبِثُوا" في ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف:٢٥]إذا جمعنا الكلمات التي تسبق هذه الآية بدءاً من أول السورة، وحتى قوله:" وَلَبِثُوا" في الآية ٢٥، نجد أن العدد هو ٣٠٠ كلمة القيمة العددية للحروف، وإذا أخذنا آية: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف:١٣]، نجد أن عدد كلماتها يساوي عدد كلمات آية:(وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ [الكهف:٢٥]، فكان العدد ٣٠٩ هو المدة الزمنية لأصحاب أهل الكهف، وهذا من التوازن العددي.

كذلك تكرار كلمات محددة في السورة أحدث تناسقا في تكرار كلمات رئيسة، فكلمة(كهف) تكررت ست مرات في السورة، وكلمة(رحمة) سبع مرات ؛ مما يتناسب مع الرقم المحوري في القصة _الذي يمثل عدد الفتية مع كلبهم_، واسم (الله) تكرر

في السورة مائة مرة تقريبا؛ إشارة إلى مركزية العقيدة في موضوع السورة، كما أن العلاقة بين القصص الأربع فيها تناسق بين عدد الآيات المخصصة لكل قصة، فكل قصة تأخذ حيزا متوازنا، ويجمعها الرقم أربعة (عدد القصص) بشكل يتناسب مع موضوع السورة، وهو الحماية من الفتن الأربع الكبرى(فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة)، فتكررت كلمة(فتنة) بعدد يتناسب مع عدد أنواع الفتن الأربعة المذكورة.

هذا بعض مما يمكن أن نعتبره من الإشارات العددية في سورة الكهف، الأمر الذي أظهر توازنا دقيقا في استخدام الكلمات، والأرقام، وعدد الآيات بما يتناسب مع الرسالة الجوهرية، وهي التحذير من الفتن، والتأكيد على الإيمان بالله، والثقة بحكمة الله وعلمه، وتظل هذه الإشارات موضوعاً للبحث والدراسة؛ لما تحمله من دلالات عميقة تتجاوز الفهم البشري العادي.

الخاتمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

ففي نهاية المطاف لهذه الرحلة الماتعة مع قصص الكهف الذي يتسم في طريقة العرض بالكمال والدقة؛ حيث لا يمكن للبشر محاكاته سواء في طريقة تقديم القصة، أو عمق معانيها وأثرها الروحي، ومن ثمَّ، فإن الإعجاز القصصي والسردي في القرآن الكريم نص يتحدى القدرات البشرية في البلاغة والفكر، والسياق القصصي القرآني أثبت ذلك الإعجاز الذي ظهر واضحا في العرض، والسرد، وبلاغة الترتيب للقصص الواردة في الذكر الحكيم، وكل منها له دلالات بلاغية، وحكم عظيمة، فالعرض في سورة الكهف يتم بأسلوب إلهي يجمع بين الوضوح والإيجاز مع العمق في المعاني، ولا يتم عرض التفاصيل الزائدة، وإنما تُذكر المعلومات التي تخدم الغرض التربوي والدعوي، ثم يُستخدم أسلوب الحوار، والتشويق، والتكرار الهادف؛ مما يجعل العرض مؤثرًا في النفس، وقصة أصحاب الكهف خير شاهد على هذا، فعُرضت بإيجاز بليغ مع التركيز على العبرة الأساسية، وهي الفرار بالدين، والثبات عليه.

كذلك السرد في سورة الكهف: نجد السرد في القرآن يختلف عن السرد البشري، فهو ليس مجرد نقل للأحداث، بل هو إعجازي في بنائه، وتسلسله، ومعانيه، ويأتي السرد بأسلوب غير تقليدي، ففي قصة موسى والخضر نجد أن السرد يعتمد على التدرج في كشف الحكمة؛ حيث تُطرح التساؤلات أولًا، ثم يُكشف السبب في النهاية؛ مما يزيد من تأثير القصة، ونجد السرد في قصة أصحاب الكهف يعتمد على التكرار المعنوي، مثل: تكرار عبارة "ثم بعثناهم"؛ لإبراز عنصري الزمن والغيب.

وأما الترتيب بين قصص سورة الكهف: نجد القصص في سورة الكهف مرتبة ترتيبًا إعجازيًا يخدم موضوعات العقيدة، والابتلاءات الأربع:(فتنة الدين، والمال، والعلم، والسلطة)، فالترتيب ليس عشوائيًا، بل يعكس مسيرة الإنسان في مواجهة الفتن: (فتنة الدين: أصحاب الكهف، وفتنة المال: صاحب الجنتين، وفتنة العلم: موسى

والخضر، وفتنة السلطة: ذو القرنين)، فترتيب القصص يعكس تصاعد الصعوبات التي يواجهها الإنسان بدءًا من فتنة العقيدة، وانتهاءً بفتنة السلطة التي تشمل كل الفتن السابقة.

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى أهم نتائج البحث وتتلخص في الآتي:

- سورة الكهف مليئة بالكهوف، ولكنها كهوف معنوية.
- كل مشهد يعد بمثابة التمهيد للمشهد الذي يليه، والمشهد الثاني نتيجة للمشهد السابق؛ وبذلك البناء الجمالي المحكم ارتبطت المشاهد ببعضها داخل القصة الواحدة، ومن ثم كانت مظهرا جماليا من مظاهر الارتباط بين قصص السورة الأربع.
- محور السورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.
- جميع القصص في السورة الكريمة اكتفت بإعطاء الأوصاف التي تسهم في تحقيق المقاصد الدينية، وتركت الجوانب الأخرى التي ليس لها وظائف حيوية في رسم الشخصيات، وتطوير الأحداث.
- الشخصيات هنا شباب، وليسوا شيوخا أو نساء، ومن العجب أن هذا الكهف إن ضاق عليهم في المساحة كما في عقولنا جميعا إلا أنه لا يضيق عليهم إنعاما، ورحمة، فلا يحسون بضيق المكان، والزمن يتوقف فيه، فلا يحسون بضيق الزمان، بل تأتي رحمة الله؛ لتحيط بهم.
- اشتركت قصص سورة الكهف الأربع في إبراز المقاصد مجردة من المكان والزمان، وعمدت إلى إغراق القارئ في موضوعها دون الالتفات إلى المحيط الخارجي والعوامل الجانبية.
- من اللافت للنظر في شخصيات قصص الكهف الأربع أنها خلت من وجود شخصية المرأة؛ إذ لا يوجد أي امرأة فيها؛ لأن طبيعة الموضوع لم تستدعها؛ مما يدل على

انفراد القصص القرآني بسمة خاصة في السرد القصصي، حيث الاقتصار على الشخصيات التي تستدعيها طبيعة الموضوع والمواقف المختلفة.

- من بلاغة القصة في سردها أن الكهف أمر مخفي وناسبه أن الله أخفى عنا كل شيء عن أصحاب الكهف ما عدا قصتهم، فأخفى المكان، وأخفى الزمان، وأخفى أسماء الفتية، وأخفى عددهم، وكل هذا لسر وحكمة، وهي أن الله يريد أن يشيع عمومية الحدث في كل الأزمان والأمكنة؛ حتى لا يقال إنه خاص بزمان معين، أو مكان معين.

توصيات:

- لاتزال مكتبة كليات اللغة العربية في احتياج إلى الاستزادة من المراجع والمصادر، والرسائل العلمية المتنوعة (ماجستير ودكتوراه) التي تعنى بدراسة القصص القرآني، وبيان أثرها البلاغي في الإعجاز القرآني.
- إبراز معالم التلاقي بين البلاغة العربية، والدراسات السردية قديما وحديثا، وتطبيق ذلك في ضوء تراثنا اللغوي.

وبعد :

فهذا عملي وجهدي المتواضع، فإن وفقت فمن الله وحده، وله الحمد والمنّة، وإلا فمن نفسي والشيطان، وحسبي أنني اجتهدت وبذلت ما في وسعي، وأرجو من الله تعالى العفو والمغفرة، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- الأصوات اللغوية، إبراهيم منصور، ط٥، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٧٩م.
- إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، سوريا، ط٢، ١٣٩٩/١٩٧٩م).
- البداية والنهاية/ابن كثير، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل/ المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط١. ١٩٩٦م.
- بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، محمد مشرف خضر(رسالة دكتوراه)، جامعة طنطا، كلية الآداب.
- البيان القصصي في القرآن الكريم، د/ إبراهيم عوضين، دار الأصالة، الرياض، ط٢، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ .
- جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، د/ علي بن محمد الحمود، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الحوار القرآني بين التفسير والتبصير: أحمد سنبل، الطبعة الأولى: ١٩٩٨ - دار هانئ للدراسات والنشر - دمشق.
- حياة الخضر عرض ودراسة، السيد هاشم فياض الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

- السرد القصصي في القرآن الكريم؛ ثروت أباظة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- سيكولوجية القصة في القرآن، د/ التهامي نقرة/، الشركة التنوسية للتوزيع،١٩٧٤م.
- عناصر السرد في النتاج القصصي لجابر خليفة جابر(رسالة ماجستير) اسم الباحث : طيبة طالب بدر الخفاجي، اسم المشرف: أ. د/ محمد عبد الرسول، كلية التربية للعلوم الإنسانية، سنة نشر البحث:٢٠٢٢م.
- العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبدالحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- في فن القصة، محمد يوسف نجم/، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، عبدالكريم الخطيب، مؤسسة دار الأصالة، ط١(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- القصص القرآني: رؤية فنية، فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر٢٠٠٢م .
- قطوف تربوية حول القصص القرآني، د/ حمدي شعيب، دار البشير، طنطا، ط١، ٢٠٠٢م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِمُسَمَّى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي: مكتبة المعارف – الرياض، ط١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م.
- معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي، شركة الشهاب، الجزائر ١٩٩٠م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤٢٠ هـ.

- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبد الرحمن رأفت باشا/، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- نظرية السرد/ صلاح فضل، المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٦م.